الدر المنضود

شرح حائية ابن أبي داود

شرح

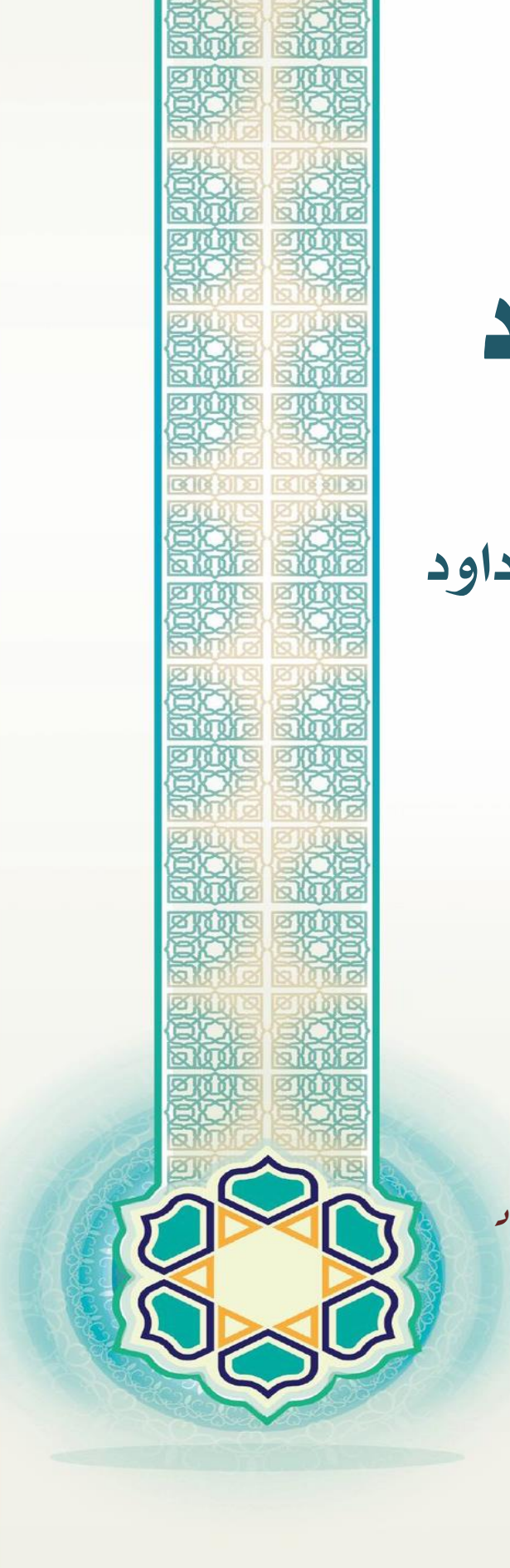
بدر بن سويلم القاطي

تقديم فضيلة الشيخ الدكتور

بدر بن علي بن طامي العتيبي

اعتنى به :

منير بن عايض القثامي – عمار عوض جاد





بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله خلق الخلق لعبادته وحده لا شريك له ، وأشهد أن لا إله إلا الله لا مثل له ولا ند له ، وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله بدين الحق أرسله ، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه ، ومن اقتفى سنته وانتهج سبله . أما بعد :

فإن معرفة العقيدة الصحيحة وما يضادها أمر بالغ في الأهمية ؛ إذ هي أساس الدين ، وركنه المتين ، وما زال أهل العلم في سائر الأقطار والأمصار يُعنون بعلم الاعتقاد ، دعوةً وتصنيفًا وتدريسًا ، فصنفوا في ذلك المختصرات والمطولات ما بين منظوم ومنثور ، ومن جملة ذلك ما نظمه العلامة أبو بكر عبدالله بن سليمان بن الأشعث السجستاني المتوفى ٣١٦ رحمه الله ، و المعروفة شهرةً بـ " بحائية ابن أبي داوود" ، وقد تتابع أهل العلم على شرح هذه المنظومة ، ولقد يسر الله لشيخنا **بدر بن سويلم المقاطي** – حفظه الله – شرح هذا النظم ، بأسلوب مناسب للمبتدئ في علم الاعتقاد ، وقد طلب مني من لا يسعني ردُّهُ أن أجمع ما كتبتُهُ من إملاء شيخنا – وفقه الله – عام ١٤٢٩ هـ ، مع ما كتبه إخوتي الفضلاء ممن كانوا يقيدون ويكتبون أثناء الدرس ومنهم : (بلال الشاعر، وأحمد الصادق، ومحمد بن ناصر المقبل، وباسل بن سويلم المقاطي رحمه الله) ، وسمين هذا المجموع (**الدُّرُّ الْمَنْضُودُ فِي شَرْحِ حَائِيَّةِ ابْنِ أَبِي دَاوُوْدِ**) ، واللهَ أسأل أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم ، وأن يعمَّ نفعُهُ الإسلامَ والمسلمين ، والحمد لله رب العالمين .

وكتب : منير بن عايض القثامي – عمَّار بن عوض جاد

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الشارح

الحمد لله على جزيل النعماء، والشكر له على ترادف الآلاء، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، إمام المتقين، وسيد الأولياء .

آيات أحمد لا تحد لواصف ... ولوَ انَّه أُمليْ وعاش دهورَا
بشراكمُ يا أمة المختار في ... يوم القيامة جنة وحريرَا
فضلتمُ حقا بأشرف مرسل ... خير البرية باديًا وحضورَا
صلى عليه الله ربى دائما ... ما دامت الدنيا وزاد كثيرَا

صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله الأصفياء، وأصحابه الأتقياء، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. أما بعد :

فهذا إملاء لطيف ، وشرح موجز خفيف ، على حائية ابن أبي داود ، في بيان عقيدة أهل السنة والجماعة ، لناظمها الإمام الحافظ ، ابن الإمام الحافظ ، أبي بكر عبد الله بن أبي داوود رحمهما الله .

وهذه المنظومة لها شأن رفيع ، ومكانة عالية عند العلماء وطلاب العلم ، تمتاز بعذوبة الألفاظ وسهولة الحفظ ، وكثرة المباحث العقدية على قصرها ، وبيان منهج السلف ، والتحذير من أهل البدع.

وقد ألقيتها على عدة دروس في عام ١٤٢٩ هـ بالمزاحمية ، وكتبها مجموعة ممن حضروا الدرس ، وفرغوها واجتهدوا في عملهم – جزاهم الله خير الجزاء – وخاصة الشيخ منير

القثامي ، والأخ عمار عوض وفقهما الله ، فقمت بمراجعتها ،والإضافة عليها بعد اقتراح طباعتها من بعض الإخوة .

وأشكر أخي فضيلة الشيخ الدكتور : بدر بن علي بن طامي العتيبي الذي راجع المكتوب ، وسطرت أنامله مقدمة لهذا الشرح الموجز ، والشيخ بدر ممن اعتنى بهذه المنظومة ، كتابة وشرحاً وتعليماً و تدريساً ، منذ عشرين عاماً وحتى الآن ، وسبق وأن حضرت له فيها شرحاً وافياً كافياً في ثلاثة مجالس بالمزاحمية ، فأسأل الله أن يبارك في علمه وعمله ، وأن يجزيه خير الجزاء .

كما أشكر كل من ساهم في إخراج هذا العمل ، وتعاون معي في سبيل إخراج هذا الكتيب سواء بوقته أو جهده أو بنصحه أو برأيه ومشورته .

وأسأل الله أن يهدينا إلى الصراط المستقيم ، وأن يدلنا على الهدي القويم ، وأن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم ، وأن يتقبله بقبول حسن ، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أخوكم

بدر بن سويلم المقاطي

المزاحمية



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الشيخ / د. علي بن علي بن طامي العتيبي

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فقد اطَّلعت على كتاب "**الدر المنضود شرح حائية أبي بكر بن أبي داود**" عبدالله بن أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني (٢٣٠-٣١٦هـ) من تأليف فضيلة الشيخ المفيد: **بدر بن سويلم المقاطي**، وفقه الله ونفع به، فألفيتُه شرحاً مختصراً مفيداً بيّن فيه فضيلتُه: مهمات أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة التي ذكرها الناظم رحمه الله، فحقَّق وحرّر واختصر، وسهّل به معرفة قول أهل السنة والجماعة في تلك الأصول العقدية، فجزاه الله خيراً ونفع به، وألزمه كلمة البرِّ والتقوى، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

كتبه

د. بدر بن علي بن طامي العتيبي

عضو هيئة التدريس بمعهد الأئمة والخطباء بالرياض

بسم الله الرحمن الرحيم

الرقم: ٢١٧/خ
التاريخ: ١٧/ ربيع أول/ ١٤٣٠هـ
الموضوع:
المشفوعات:

بدر بن علي بن طامي العتيبي

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فقد اطَّلعت على كتاب "**الدر المنضود شرح حائية أبي بكر بن أبي داود**" عبدالله بن أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني (٢٣٠-٣١٦هـ) من تأليف فضيلة الشيخ المفيد: **بدر بن سويلم المقاطي**، وفقه الله ونفع به، فألفيتُه شرحاً مختصراً مفيداً بيّن فيه فضيلتُه: مهمات أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة التي ذكرها الناظم رحمه الله، فحقَّق وحرّر واختصر، وسهّل به معرفة قول أهل السنة والجماعة في تلك الأصول العقدية، فجزاه الله خيراً ونفع به، وألزمه كلمة البرِّ والتقوى، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

كتبه

د. بدر بن علي بن طامي العتيبي
عضو هيئة التدريس بمعهد الأئمة والخطباء
بالرياض

المملكة العربية السعودية - الطائف - الحوية - هاتف (٠٢٧٢٥٢٨٧٢) فاكس (٠٢٧٢٤١٩٢٣) ص ب (٣٨٦) الرمز البريدي (٢١٩٧٤)
Badra99@hotmail.com

التعريف بالناظم :

اسمه ونسبه : هو أبو بكر، عبد الله بن سليمان بن الأشعث بن إسحاق السجستاني ، الحافظ ابن الحافظ .

ولادته : وُلِدَ بسجستان، سنة ثلاثين ومائتين ، ونشأ بنيسابور ، واستقر ببغداد .

طلبه للعلم : رحل به والده فطوّف به شرقاً وغرباً، وأسمعه من علماء ذلك الوقت ، فأول شيخ سمع منه : محمد بن أسلم الطّوسي ، وسرّ أبوه بذلك ، لجلالة محمد بن أسلم .

وروى عن أبيه ، وأحمد بن صالح ، وعلي بن خشرم ، وأبي سعيد الأشج ، وعَمْرو بن علي الفلاّس والحسن بن عرفه ، ومحمد بن يحيى الذهلي ، ومحمد بن عبد الرحيم ، وخلق كثير ، فسمع بخراسان وأصبهان، ونيسابور، والبصرة، وبغداد، والكوفة، ومكة والمدينة، والشام، ومصر ثم استوطن بغداد ، وكان ذا همة عالية من صغره في التحصيل والطلب ، وذا جلد على طلب الحديث فقد قال : " دخلت الكوفة ومعي درهم واحد ، فاشتريت به ثلاثين مُدّاً باقِلاّ ، فكنت آكل منه مداً ، واكتب عن أبي سعيد الأشج ألف حديث ، فلّما كان الشهر حصل معي ثلاثون ألف حديث " أ.هـ .

صنف المسند ، والسنن ، والمصاحف ، والناسخ والمنسوخ ، والبعث ، وأشياء .

وحدث عنه خلق منهم : ابن حبّان ، وأبو أحمد الحاكم ، وأبو الحسن الدارقطني ، وابن المقرئ ، وأبو حفص بن شاهين ، وابن بَطّة .

قال عنه الذهبي : "كان من بحور العلم ؛ بحيث إن بعضهم فضّله على أبيه " . أ.هـ .

وفاته :توفي سنة ستَّ عشرة وثلاث مئة، وهو ابن ست وثمانين سنة وستة أشهر وأيام، ودفن يوم الأحد لثنتي عشرة بقيت من ذي الحجة من سنة ست عشرة وثلاث مئة رحمه الله [1].



[1] انظر : سير أعلام النبلاء للحافظ الذهبي ١٣ / ٢٢٤ – ٢٣٣ ، طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى : (٢/٥١) ، لسان الميزان لابن حجر : (٣/٣٦٤) .

التعريف بالمنظومة :

أوضح الناظم في هذا النظم ، اعتقاد أهل السنة والجماعة في جملة من مسائل الاعتقاد ، مع بيان بعض آراء المخالفين لهذه العقيدة الصحيحة .

وقد بلغت أبياتها نحوًا من ستة وثلاثين بيتًا ، وزيد فيها حتى بلغت في بعض النسخ خمسين بيتًا .

وسميت بالمنظومة الحائية ؛ لأنها مُقَفَّاةٌ بحرف الحاء ، وهذا الضرب من تسمية المنظومات بقافيتها جادة مسلوكة عند أهل العلم ؛ كلامية شيخ الإسلام ابن تيمية ، ونونية أبي عبدالله ابن القيم -رحمهما الله - ، ونونية القحطاني ونحوها .

وقد اشتهرت نسبة هذه المنظومة لناظمها قديما وحديثا [١] ، قال الذهبي : " هذه القصيدة متواترة عن ناظمها " [٢] ، ونسبها إليه جمع من المؤرخين ، والمترجمين لحياته ، كالذهبي في السيّر ، والعلو ، ورواها عنه [٣] ، ورواها عنه ابن أبي يعلى [٤] ، ورواها عنه تلميذه أبو حفص ابن شاهين ، وأوردها في كتابه " شرح مذاهب أهل السنة" [٥] .

---

[١] انظر : العلو للعلي الغفار للحافظ الذهبي صـ ١٥٤ .

(٢) العلو : (ص ١٢٧) .

(٣) سير أعلام النبلاء : (٢٣٣/١٣) ، العلو : (ص ١٢٦) .

(٤) طبقات الحنابلة : (٥٣/٢).

(٥) ص٣٢١ .

وقد شرحها الآجري ، محمد بن الحسين بن عبد الله ، المتوفّى سنة ستين وثلاث مئة [١] ، وشرحها السفاريني بشرح سماه "**لَوَائِحُ الأَنْوَار السَّنِيَّة وَلَوَاقِحُ الأفْكار السُّنِّيَّة شرْح قَصيْدة بْنِ أبِيْ دَاوُدْ الحائيّة**" (٢) ، وشرحها من المعاصرين الشيخ عبدالرحمن البراك ، والشيخ صالح الفوزان ، والشيخ عبدالكريم الخضير ، والشيخ عمر العيد ، والشيخ عبد الرزاق البدر ، وغيرهم .

وتضمنت هذه المنظومة أهم مسائل الاعتقاد : كالحث على التمسك على الكتاب والسنة ، وأهمية الاتباع وذم الابتداع ، و ذكر بعض صفات الله تعالى كالقرآن واليد والنزول ، وبيان مسألة رؤية الله تعالى ، وبيان أفضل الخلق بعد الأنبياء و ذكر فضل الصحابة الكرام ، والإيمان بالقضاء والقدر ، وما يكون بعد الموت ، كنعيم القبر وعذابه والحوض والميزان والشفاعة ، وذكر الأقوال في صاحب الكبيرة ، والقول في الإيمان ، والوصية بالأخذ بالدليل الصحيح ، وغيرها .

(١) قاله الذهبي في العلو ص : ١٢٧ .

(٢) طُبع بتحقيق عبد الله البصيري دار الرشد .

نصّ المنظومة

[عدد أبياتها : ٣٦]

تَمسَّكْ بحَبْلِ اللهِ واتَّبِع الهُدَى (١) ولا تَكُ بِدْعِيًّا لَعلَّكَ تُفْلِحُ

وَدِنْ بِكِتَابِ اللهِ والسُّنَنِ التِي (٢) أَتَتْ عَن رَسُولِ اللهِ تَنْجُ وَتَرْبَحُ

وَقُلْ غَيْرُ مَخْلُوقٍ كَلامُ مَليكِنا (٣) بِذَلكَ دَانَ الأَتْقِياءُ وأَفْصحُوا

وَلا تَكُ فِي القُرْآنِ بالوَقْفِ قَائِلاً (٤) كَمَا قَالَ أَتْبَاعٌ لِجَهْمٍ وَأَسْجَحُوا

ولا تَقُلِ القُرآنُ خَلقاً قرأتَهُ (٥) فإنَّ كَلامَ اللهِ باللفْظِ يُوضَحُ

وَقُلْ يَتَجلَّى اللهُ للخَلْقِ جَهْرَةً (٦) كَمَا البدْرُ لا يَخْفى وَرَبُّكَ أَوْضَحُ

وَلَيْسَ بمَوْلُودٍ وليسَ بِوَالِدٍ (٧) وَلَيسَ لهُ شِبْهٌ تَعَالَى المسَبَّحُ

وَقَدْ يُنكِرُ الجَهْميُّ هَذَا وعِنْدَنَا (٨) بِمِصْدَاقِ ما قُلْنَا حَدِيثٌ مُصَرّحُ

رَوَاهُ جَرِيرٌ عن مَقَالِ مُحَمَّدٍ (٩) فقُلْ مِثْلَ ما قَدْ قَالَ في ذَاكَ تَنْجَحُ

وَقَدْ يُنكِرُ الجَهْمِيُّ أَيضًا يَمِينَهُ (١٠) وَكِلْتَا يَدَيْهِ بالفواضِلِ تَنْفَحُ

وَقُلْ يَنْزِلُ الجَبَّارُ في كُلِّ لَيْلَةٍ (١١) بِلا كَيْفَ جَلَّ الواحدُ المتَمَدِّحُ

إلى طَبَقِ الدُّنيا يَمُنُّ بِفَضْلِهِ (١٢) فَتُفْرَجُ أَبْوابُ السَّماءِ وتُفْتحُ

يَقولُ : ألا مُسْتغفِرٌ يَلْقَ غَافِرًا (١٣) ومُسْتَمنِحٌ خَيْرًا ورِزقًا فأمْنَحُ

رَوَى ذَاكَ قَومٌ لا يُرَدُّ حَدِيثَهم (١٤) ألا خَابَ قَوْمٌ كذَّبوهُم وقُبِّحُوا

وَقُلْ إنَّ خَيْرَ النَّاسِ بَعْدَ مُحَمَّدٍ (١٥) وَزِيراهُ قُدْمًا ، ثُمَّ عُثْمَانُ أَرْجَحُ

وَرابِعُهُم خَيْرُ البريَّةِ بَعْدَهُم (١٦) عَلِيٌّ حَليفُ الخَيرِ ، بالخَيرِ مُنْجِحُ
وإنَّهُمُ و الرَّهْطُ لا رَيْبَ فِيْهِمُ (١٧) عَلَى نُجُبِ الفِرْدَوْسِ في الخُلْدِ تَسْرَحُ
سَعِيدٌ وسَعْدٌ وابنُ عَوْفٍ وطَلْحةٌ (١٨) وعَامِرُ فِهْرٍ والزُّبَيْرُ المُمَدَّحُ
(وعَائِشُ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ وَخَالُنا (١٩) مُعَاوِيَة أَكْرِمْ بِهِ فَهْوَ مُصلحُ
وَأَنْصارُه وَالهَاجِرونَ دِيارَهم (٢٠) بنصرهُمُ عَنْ ظلمةِ النَّارِ زحزحُوا
وَمَنْ بعدَهُم وَالتابِعُون بِحُسنِ مَا (٢١) حَذو حَذوهم قَولاً وَفِعلاً فَأفْلحوا
وَقُلْ خَيْرَ قولٍ في الصَّحَابةِ كُلِّهِمْ (٢٢) ولا تَكُ طَعَّاناً تَعِيْبُ وَتَجْرَحُ
فَقَدْ نَطَقَ الوَحْيُ المبِينُ بِفَضْلِهِمْ (٢٣) وفي الفَتْحِ آيٌ في الصَّحابةِ تَمْدَحُ
وبِالقَدَرِ المَقْدُورِ أيْقِنْ فإنَّهُ (٢٤) دِعَامَةُ عقْدِ الدِّينِ والدِّينُ أفْيَحُ
وَلا تُنْكِرَنْ جَهلاً نَكِيرًا ومُنْكَراً (٢٥) وَلا الحَوْضَ والمِيزانَ إنَّكَ تُنْصَحُ
وقُلْ يُخْرِجُ اللهُ العَظيمُ بِفَضلِهِ (٢٦) مِن النارِ أجْسادًا مِن الفَحْمِ تُطْرَحُ
عَلَى النَّهرِ في الفِردوسِ تَحْيا بِمَائِهِ (٢٧) كَحَبِّ حَمِيلِ السَّيْلِ إذْ جَاءَ يَطْفَحُ
فإنَّ رَسُولَ اللهِ للخَلقِ شَافِعٌ (٢٨) وقُلْ فِي عَذابِ القَبرِ حقٌّ مُوَضَّحُ
ولا تُكْفِرَنَّ أهْلَ الصَّلاةِ وإنْ عَصَوا (٢٩) فكلُّهُمُ يَعْصِي وذُو العَرشِ يَصْفَحُ
(ولا تَعتقِدْ رَأيَ الخَوارِجِ إنَّهُ (٣٠) مَقَالٌ لِمَنْ يهواهُ يُرْدِي ويَفْضَحُ
ولا تَكُ مُرْجِيًّا لَعُوبًا بِدِينِهِ (٣١) ألا إنَّمَا المُرْجِيُّ بالدِّينِ يَمْزَحُ

وقُلْ إنَّما الإيمانُ قَوْلٌ ونيَّةٌ (٣٢) وفِعْلٌ عَلَى قَولِ النبيِّ مُصَرَّحُ
ويَنْقُصُ طَوْرًا بالمعَاصِي وَتَارةً (٣٣) بطَاعَتِهِ يَنْمِي وفي الوَزنِ يَرْجَحُ
وَدَعْ عنكَ آراءَ الرِّجالِ وَقولَهُم (٣٤) فَقَوْلُ رَسُولِ اللهِ أَزكى وَأَشْرَحُ
وَلا تَكُ مِن قَوْمٍ تَلَهَّوْ بِدِينِهِم (٣٥) فَتَطْعنَ في أَهَلِ الحَدِيثِ وتَقْدَحُ
إذا مَا اعتقدْتَ الدَّهْرَ يا صَاحِ هذِه (٣٦) فَأَنْتَ عَلى خَيْرٍ تَبِيتُ وتُصْبِحُ

قال أبو بكر بن أبي داود : هذا قولي ، وقول أبي ، وقول أحمد بن حنبل ، وقول من أدركنا من أهل العلم ، ومن لم ندرك ممّن بلغنا عنه ، فمن قال غير هذا فقد كذب ..

القول في ديباجة الأبيات

قال رحمه الله :

تَمسَّكْ بحَبْلِ اللهِ واتَّبِع الهُدَى ✖ ولا تَكُ بِدْعِيًّا لَعلَّكَ تُفْلِحُ

وَدِنْ بِكِتَابِ اللهِ والسُّنَنِ التِي ✖ أَتَتْ عَن رَسُولِ اللهِ تَنْجُ وَتَرْبَحُ

قوله: (تمسك) فعل أمر يدل على التشبث بالشيء ، وعدم الانفكاك عنه.

قوله: (حبل الله) الحبل لفظ مشترك ،وأصله في اللغة :السبب الذي يوصل به إلى البُغية والحاجة. [1]

وحبل الله هو : القرآن ، وقيل: هو الدين ، وقيل : غير ذلك ، و المعنى كله متقارب متداخل[2] ، والأول أقرب ، ومنه قوله تعالى : (واعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا ..)، وسمي القرآن حبلَ الله من باب الاستعارة ؛ فمن تمسك به نجا من الغرق في لجج المعاصي والكفر كالغريق في البحر يحتاج إلى حبل لإنقاذه من التهلكة .

قوله : (واتبع الهدى) : الاتباع هو التُّلُو والقَفْو [3] ، وهو طاعة وإذعان مع محبة المتبوع .

والهدى هي : الدلالة والإرشاد ، ويراد بها هنا السنة النبوية .

و تنقسم الهداية قسمان :

---

[1] انظر : لسان العرب ٧ / ١٠٠.

[2] انظر : الجامع لأحكام القرآن ٥ / ٢٤٠ – ٢٤١ .

[3] انظر : مقاييس اللغة ١ / ٣٦٢ .

الأول : هداية خاصة : وهي هداية توفيق وإلهام ، فتختص بالله سبحانه ؛ فإن بيده مفاتيح القلوب ، ومنها قوله سبحانه (إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين) [القصص : ٥٦] .

والآخر: هداية عامة : وهي هداية دلالة وإرشاد ، وهو التعريف بطريق الخير وطريق الشر ، وهي التي يقوم بها الأنبياء وأتباعهم من العلماء والناصحين ونحوهم ، قال تعالى : (وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم) [الشورى : ٥٢] .

وقد ابتدأ الناظم في صدر البيت الأول بمصدري التشريع وهما الكتاب والسنة ،و ما يأتي بعدهما مبني عليها ، ومتفرع منهما .

قوله : (ولا تك) لا هذه هي الناهية التي تفيد الطلب والنهي ، ومن جوازم الفعل المضارع ، وتك أصلها تكون ، ولما جزمتها (لا) التقى ساكنان ؛ فحذفت الواو ، ثم حذفت النون تخفيفا ، وهو حذف جائز .

قوله : (بدعيا) : المبتدع ضد المتبع .

والبدعة لغةً : إحداث شيء على غير مثال سابق[1] .

وشرعًا: إحداث شيء في الدين ، مما ليس منه ، تعبدًا لله تعالى .

فائدة : رؤوس الفرق المبتدعة القديمة خمسةٌ هي : الروافض والخوارج و الجهمية والمرجئة و المعتزلة .

قوله : (لعلك) : لعل حرف ناسخ مشبه بالفعل من أخوات إنَّ ، وله معانٍ منها : الترجي والتوقع والاشفاق والاستفهام ، والكاف للخطاب .

---

(١) انظر : لسان العرب ٢ / ٣٨.

قوله : (تفلح) : الفلاح هو الفوز بخيري الدنيا والآخرة ، فمن أفلح فقد حاز خيرًا عظيما ، وأصل الفلاح وأساسه هو الأخذ بالكتاب والسنة ، وأصل الخسار وأساسه هو الإعراض عنهما .

ولا يكون الأثريُّ متبعًا ، إلا بتحقيق ستة أمور في العمل حتى يكون موافقاً للشرع ، وهي :

١ / الجنس : وذلك باتباع الجنس الوارد في الكتاب والسنة ، وعدم العدول عنه لغيره ، مثال ذلك : جعلت الشريعة بهيمة الأنعام جنسا للأضاحي ؛ فمن ضحى بغير بهيمة الأنعام ، كمن يضحي بفرس ،فلا يصح منه ذلك ؛ إذ هو مبتدع في جعل الفرس جنساً للأضاحي وليس متبعًا .

٢/ القدر: وهو العدد الوارد شرعا في عبادة ما ، فلا يزاد عليه ولا ينقص ؛ كمن صلى المغرب أربع ركعات ، فهو مبتدع في فعله ؛ لمخالفته العدد الوارد شرعا في صلاة المغرب وهو ثلاث ركعات .

٣/ الزمان : وهو الالتزام بالزمان المعين في الكتاب والسنة ، وذلك بإيقاع العبادة فيه ، فمن أوقعها في غير زمنها فإنها لا تقبل منه ؛ كمن صام رمضان في شهر الله المحرم .

٤/ المكان : وهو الالتزام بالمكان المعين في الكتاب والسنة ، وذلك بإيقاع العبادة فيه ، فمن أوقعها في غير مكانها فإنها لا تقبل منه ؛ كالحاج إذا وقف في يوم عرفة بمنى ، فلا يسقط عنه ركن الحج وهو الوقوف بعرفات ؛ لمخالفته الوارد شرعا من إيقاع هذه العبادة في ذلك الموضع .

٥/ الكيفية : وهي الصفة الواردة في الكتاب والسنة ، فمن أوقع عبادة على كيفية مخالفة للوارد شرعا لم تقبل منه ، كمن توضأ منكسا ؛ فإن وضوءه لا يصح ؛ لمخالفته الصفة المبينة شرعا .

٦/ وهو الالتزام بالعبادة التي شرعت في الكتاب والسنة لسبب معين ، وعدم مخالفتها ؛ كمن يجعل العمرة كفارةً لليمين ، فهو بفعله مبتدع ؛ لمخالفته كفارة الحنث في اليمين المبينة في كتاب الأيمان والنذور .

قوله : (ودِنْ) : الواو عطف على ما سبق ، و دِنْ : أمرٌ من دان يدين دِينًا ، أي : تعبدْ

(بكتاب الله) : وهو القرآن ، سمي كتابًا ؛ لكونه مكتوبًا ، وقرآنًا ؛ لكونه مقروءًا ، أي: تعبد بما في كتاب الله تعالى من خبرٍ أو طلب .

قوله : (والسنن التي أتت عن رسول الله) : السنن جمع سُنة ، وهي : الطريقة ، ويراد بها ما جاء عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير، ولا بد أن تكون هذه السنن ثابتة بطريق صحيح عن النبي ﷺ ؛ ولهذا قال : (أتت عن رسول الله) .

قوله : (تنجُ وتربحُ) : النجاة هي السلامة ، والربح زائد عنها ، وحذفَ المتَعَلَق – وهو بيان ما يُنجى منه – ؛لإفادة العموم ، فمن دان بالكتاب والسنة نجا من كل شر في الدنيا والآخرة ، وفاز بنعيم الدنيا وهو الأنس بعبادة الله تعالى ، وبنعيم الآخرة وهو دخول جنة الله تعالى .



القولُ في نعت كلام الله تعالى

قال رحمه الله :

وَقُلْ غَيْرُ مَخْلُوقٍ كَلامُ مَليكِنا ✖ بِذَلكَ دَانَ الأَتْقِياءُ وأَفْصحُوا
وَلا تَكُ فِي القُرْآنِ بالوَقْفِ قَائِلاً ✖ كَمَا قَالَ أَتْبَاعٌ لِجَهْمٍ وَأَسْجَحُوا
ولا تَقُلِ القُرآنُ خَلقاً قرأتَهُ ✖ فإنَّ كَلامَ اللهِ باللفْظِ يُوضَحُ

قوله : (وقل) الخطاب هنا للأثري السني ، و هو أمر يقصد به الامتثال ، أي : قل بقلبك معتقدًا ، وبلسانك ناطقًا ، بلا شكٍ ولا تردد .

(غير مخلوق كلام مليكنا) واصفًا كلام الله –وهو القرآن– بأنه منزل غير مخلوق ، وإضافة الكلام إلى الله من باب إضافة الصفة إلى الموصوف ، فالقرآن صفة الله تعالى ، والله سبحانه موصوف به ، وقوله : (غير مخلوق) فيه رد وإبطال لمذهب القائلين بخلق القرآن –تصريحًا أو تلميحًا– ، وعلى رأسهم الجهمية والمعتزلة وغيرهم ؛ لقوله تعالى : (وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين) الإسراء ٨٢ ، وقوله جل وعلا : (تبارك الذي نزل الفرقان على عبده) الفرقان ١ ، وهو من أمر الله تعالى الذي يتضمن أحكامه الشرعية ؛ كما قال عز وجل (وكذلك أوحينا إليك روحًا من أمرنا) الشورى ٥٢ ، وليس من مخلوقاته ؛ لأن الله تعالى قد فرق بين مخلوقاته وأوامره ؛ كما في قوله عز وجل: (ألا له الخلق والأمر) الأعراف

٥٤ ، وإضافة القرآن إلى الله في قوله : (كلام مليكنا) تفيد التخصيص ، أي : أن القرآن كلام الله سبحانه مختص به يليق بجلاله وعظمته ، والمليك صيغة مبالغة على زِنَةِ فعيل أي : المالك القادر على كل شيء سبحانه ؛ كما في قوله جل وعلا: (في مقعد صدقٍ عند مليك مقتدر) القمر٥٥.

قوله: (بذلك) : إشارة إلى ما تقدم تقريره من الاعتقاد في كلام الله تعالى بأنه كلام الله حقيقةً لفظًا ومعنى منزل غير مخلوق .

قوله: (دان الأتقياء) : أي تعبد واعتقد ، والأتقياء جمع تقي ، وهو من جعل بينه وبين ما يخشاه وقاية ، وأعظمها تقوى الله تعالى بامتثال أوامره واجتناب نواهيه ، والتقوى من أجلِّ أوصاف أهل السنة والجماعة ، وهم في باب كلام الله تعالى عقدوا قلوبهم على ما ذكر الناظم ، ولم يكتفوا بذلك ، بل بينوا وأوضحوا هذا الاعتقاد تدريسًا وتصنيفًا ؛ كما قال عنهم الناظم : (وأفصحوا) .

قوله:(ولا تك) تقدم بيان أصلها وتركيبها ، فهي نهي عن القول (في القرآن بالوقف) أي : التوقف في مسألة كلام الله تعالى ، وعدم الإفصاح بكونه منزلًا أو مخلوقًا ، وهو مذهب الواقفة المتأثرين بعقيدة الجهمية ؛ كما بين ذلك الناظم في قوله : (كما قال أتباع لجهم) وهو الجهم بن صفوان رأس الجهمية ، وكما جاء عن أئمة أهل السنة كالإمام أحمد أن من وقف في القرآن فهو جهمي ، فالواقفة وإن لم يصرحوا بالقول بخلق القرآن ، وسلكوا طريقة التزهد والكف عن الإفصاح به ، إلا أن قلوبهم اطمأنت لهذا القول ؛ كما قال:(وأسجحوا)

: أي لانت واطمأنت بذلك قلوبهم ، وفي نسخة أخرى (وأسمحوا) أي: تسامحت نفوسهم وارتاحت بهذا الباطل والعياذ بالله .

قوله : (ولا تقل القرآن خلقًا قرأته) فيه النهي عن مذهب من فرق الملفوظ وهو كلام الله تعالى وبين آلة خروجه وهو اللسان والشفة ، فيقولون : إن الملفوظ غير مخلوق ، وإن آلة خروجه مخلوقة ، وهو مذهب متفرع عن مذهب الجهمية جيء به للتلبيس على الناس ، ولما كان هذا القول محتملا لأكثر من معنى مُنع منه ، لأن قول قائلهم : (لفظي بالقرآن مخلوق) يحتمل الملفوظ ويحتمل آلة خروجه ، فلا بد من التفصيل حينئذٍ ، فالصوت صوت القاري والكلام كلام الباري ، والكلام إنما يضاف إلى من قاله ابتداءً لا إلى من قاله إبلاغًا وأداءً ، ولهذا قال الإمام أحمد : من قال إن لفظ القرآن مخلوق فهو جهمي ، ومن قال إنه ليس بمخلوق فهو مبتدع ، فيتعين حينئذ التفصيل في المسألة ؛ لأن كلمة (لفظ) في قولهم : (لفظي بالقرآن مخلوق) مصدر فيراد به أحد معنيين :

١ / اسم الفاعل وهو المتلِّفظ به أي : آلة الكلام بالصوت واللسان وهو صوت القاري .

٢ / اسم المفعول وهو الملفوظ وهو كلام الباري .

قوله (فإنَّ كَلامَ اللهِ باللفْظِ يُوضَحُ) هذه علة النهي عن قولهم لفظي بالقرآن مخلوق ؛ لأن القرآن كلام الله ألفاظه ومعانيه ، والتلفظ به يوضح معناه ، وأما ما كان في الصدر فلا يسمى كلامًا أصلا .



القول في رؤية الله جل وعلا

قال رحمه الله :

وَقُلْ يَتَجلَّى اللهُ للخَلْقِ جَهْرَةً ☒ كَمَا البدْرُ لا يَخْفى وَرَبُّكَ أَوْضَحُ

وَلَيْسَ بِمَوْلُودٍ وليسَ بِوَالِدٍ ☒ وَلَيسَ لهُ شِبْهٌ تَعَالَى المسَبَّحُ

وَقَدْ يُنكِرُ الجَهْمِيُّ هَذَا وعِنْدَنَا ☒ بِمِصْدَاقِ ما قُلْنَا حَدِيثٌ مُصَرّحُ

رَوَاهُ جَرِيرٌ عن مَقَالِ مُحَمَّدٍ ☒ فقُلْ مِثْلَ ما قَدْ قَالَ في ذَاكَ تَنْجَحُ

بين الناظم في هذه الأبيات مذهب أهل السنة والجماعة في رؤية المؤمنين ربهم سبحانه وتعالى ، وأنها حق لا مرية فيه ، وهي رؤية أخروية لا دنيوية ، خلافًا لأهل البدع من الجهمية والمعتزلة والمتصوفة ، وهي ثابتة بالكتاب والسنة والإجماع ، فمن الكتاب قوله تعالى (وجوه يومئذ ناضرة * إلى ربها ناظرة) القيامة ٢٢ – ٢٣ ، وقوله تعالى (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) يونس ٢٦ ، وفسرت الزيادة : بأنها النظر إلى وجه الله تعالى كما في حديث صهيب ﷺ الآتي ، ومن السنة قوله ﷺ : " إنكم سترون ربكم كما ترون القمر ..." [١] ، وقد أجمع أهل السنة على القول بثبوت رؤية المؤمنين ربَّهم يوم القيامة [٢] .

---

[١] أخرجه البخاري / كتاب مواقيت الصلاة / باب فضل صلاة العصر / برقم ٥٥٤، ومسلم / كتاب المساجد ومواضع الصلاة / باب بفضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما / برقم ٦٣٣ .

[٢] انظر : شرح الطحاوية لابن أبي العز ص١٢٩ .

قوله: (وقل) أي أيها السني السلفي (يتجلى الله) أي : يظهر عيانًا واضحًا (للخلق جهرةً) و " ال " في " الخلق " : عهدية يراد بها أهل الإيمان ، فهم المشمولون بهذه الفضيلة ، والمغمورون بهذا النعيم يوم القيامة ، وهو رؤية الله تعالى ، وأما أهل الكفر فلا يرونه تعالى ؛ كما قال عنهم سبحانه : (كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) المطففين ١٥

(كما البدر لا يخفى) أي : مثل رؤيتكم البدر : وهو القمر عند اكتماله في منتصف الشهر القمري ، بل (وربك أوضح) من القمر ، والتشبيه هنا هو تشبيه رؤية برؤية ، لا تشبيه الخالق وهو الله تعالى بالمخلوق وهو القمر ، ورؤية الله هي اللذة العظمى والغاية الأسمى ؛ فعن صهيب ﷺ أن النبي ﷺ قال: " إذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله تعالى : (تريدون شيئا أزيدكم) ؟ فيقولون : ألم تبيض وجوهنا ؟ ألم تدخلنا الجنة ، وتنجنا من النار ؟ قال : فيكشف الحجاب ، فما أعطوا شيئا أحب إليهم من النظر إلى ربهم تبارك وتعالى " ثم تلا قوله تعالى (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) يونس ٢٦ [1].

قوله : (وليس بمولود وليس بوالد) فيه تنزيه لله تعالى ، فمن كماله أنه ليس له والد ولا ولد ، كما زعمت اليهود والنصارى ؛ قال جل وعلا : (لم يلد ولم يولد) الإخلاص ٣ ، ومن كماله تعالى أنه (ليس له شبه) أي : شبيه ؛ قال تعالى (ليس كمله شيء وهو السميع البصير) الشورى ١١ (تعالى) أي: تقدس الله العظيم (المسبح) أي: المنزه ، وتسبيح الله تعالى يكون بثلاثة أمور :

١. تنزيهه سبحانه عن النقائص ، كالموت والعجز والنوم .

---

[1] أخرجه مسلم / كتاب الإيمان / باب إثبات رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة برقم ١٨١.

٢. تنزيهه سبحانه عن الكمال الذي يسبقه نقص ، مثل العلم الذي يسبق جهل والقوة التي يسبقها ضعف والعزة التي يسبقها ذل ، فله سبحانه الكمال المطلق .

٣. تنزيهه سبحانه عن مشابهة المخلوقين .

ثم شرع الناظم يبين مذهب المنكرين لرؤية المؤمنين ربهم تعالى فقال:(وقد ينكر الجهمي) نسبةً للجهم بن صفوان ، سموا بعد ذلك جهمية ، ومن مذهبهم أنهم ينكرون (هذا) وهي رؤية الله تعالى ، وأنى لهم ذلك الإنكار (وعندنا) معاشر أهل السنة (بمصداق) وإثبات (ما قلنا) وهو إثبات الرؤية (حديث مصرح) وفي نسخة (مصحح) ، وكلاهما صحيح ، فإسناده صحيح ، ومعناه صريح ، وهذا الحديث (رواه جرير) هو ابن عبدالله البجلي ﷺ ، (عن مقال) الصادق المصدوق (محمد) ﷺ ، فقال : كنا عند النبي ﷺ فنظر إلى القمر ليلة البدر فقال : " إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته فإن استطعتم أن لا تغلوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا."[1] (فقل) أيها السني الأثري مثل مقالة جرير ﷺ في رؤية الله سبحانه تظفر و(تنجح) ، في الدنيا والآخرة ؛ لموافقتك الكتاب والسنة .



[1] أخرجه البخاري / كتاب مواقيت الصلاة / باب فضل صلاة العصر برقم ٥٢٩ ومسلم / المساجد / باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما برقم ١٤٣٤.

القول في إثبات صفة اليد لله تعالى

قال رحمه الله :

وَقَدْ يُنكِرُ الجَهْمِيُّ أَيضًا يَمِيْنَهُ ☒ وَكِلْتَا يَدَيْهِ بالفواضِلِ تَنْفَحُ

(وقد) الواو عاطفة ، وقد : حرفٌ يفيد تحقيق المعنى ؛ لدخوله على الفعل المضارع ، ويفيد أيضا التقليل والتكثير حسب سياق الكلام ، ويدخل على الفعل الماضي مفيدا التحقيق أيضا . فبين الناظم أن (الجهمي) وهو الجهم بن صفوان وأتباعه ، (قد ينكر) أي: يجحد .

(أيضا يمينه) أي: مع إنكاره ما تقدم فإنه ينكر إثبات اليمين الله تعالى ، ويمين الله : هي يده سبحانه ، وهو مذهب الجهمية والمعطلة المنكرين صفة اليد لله ، ويفسرونها بالقوة والنعمة .

وأما أهل السنة والجماعة فإنهم يثبتون لله تعالى صفة اليدين ، من غير تحريف ولا تعطيل ، ومن غير تكييف ولا تمثيل ؛ كما قال تعالى: (وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا) المائدة ٦٤ ، وقال سبحانه : (بل يداه مبسوطتان) المائدة٦٤ ، وقال تعالى :(أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاما) يس ٧١ .

وقد ذكرت اليد في الآيات السابقة على ثلاثة ألفاظ :

١. لفظ الإفراد ، كما في قوله تعالى :(يد الله) ، وذِكرُ اليد مفردة يراد بها الجنس ؛ لأنها مفرد مضاف فيفيد العموم .

٢. لفظ التثنية ، كما في قوله تعالى:(بل يداه) ، وذِكرُ التثنية نَصٌّ على إرادة حقيقة المثنى ، وهو مذهب أهل السنة والجماعة في إثبات اليد لله تعالى .

٣. لفظ الجمع ،كما في قوله تعالى : (أيدينا) ، وذِكرُ الجمع يراد به: التعظيم .

- **مسألة :**

ورد في حديث عبدالله بن عمر ﷺ أن النبي ﷺ قال: " يطوي الله السماوات يوم القيامة ، ثم يأخذهن بيده اليمنى ، ثم يقول : " أنا الملك أين الجبارون ؟ أين المتكبرون ؟ ثم يطوي الأرضين ثم يأخذهن بشماله ، ثم يقول : " أنا الملك أين الجبارون ؟ أين المتكبرون ؟" [١]،

وورد في حديث عبدالله بن عمرو ﷺ أن النبي ﷺ قال : " إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين " .[٢]

فإن الناظر في هذين الحديثين يقع في ذهنه تعارض بينهما ؛ ففي الحديث الأول إثبات أن لله تعالى يمين وشمال ، وفي الحديث الآخر إثبات أن كلتا يدي الله عز وجل يمينٌ ، ويجمع بينهما كما ذكره المحققون من أهل العلم كالعلامة ابن باز رحمه الله وغيره : أن لله تعالى

---

(١) أخرجه مسلم / كتاب صفة القيامة والجنة والنار / باب براءة حرم النبي صلى الله عليه وسلم من الريبة / ٥١٢٤.

(٢) أخرجه مسلم / كتاب الإمارة / باب فضيلة الإمام العادل / ١٨٢٧

يدين يمينا وشمالا ؛ كما ورد في الأدلة المتقدم ذكرها ، والمراد بقوله ﷺ : " وكلتا يديه يمين " أي : أن كلتا يدي الله تعالى ذاتُ يُمْنٍ وبركةٍ وخيرٍ على حَدٍّ سواءٍ لا تفرقةَ بينهما ، وليستا كيدي المخلوق تفضل فيهما اليمين على الشمال ؛ كتفضيلها على الشمال في السلام والأكل والأخذ والإعطاء ونحوها من الفضائل ، وأما الله تعالى فليس كمثله شيء ، فإن (كلتا يديه بالفواضل) أي: العطاء والخير (تنفح) أي: تجود وتعطي وتمنح سبحانه جل وعز .



القول في إثبات صفة النزول لله تعالى

قال رحمه الله :

وَقُلْ يَنْزِلُ الجَبَّارُ في كُلِّ لَيْلَةٍ ✖ بِلا كَيْف جَلَّ الواحدُ المتَمَدِّحُ
إلى طَبَقِ الدُّنيا يَمُنُّ بِفَضْلِهِ ✖ فَتُفْرَجُ أَبْوابُ السَّماءِ وتُفْتحُ
يَقولُ : ألا مُسْتغفِرٌ يَلْقَ غَافِرًا ✖ ومُسْتَمنِحٌ خَيْرًا ورِزقًا فأمْنَحُ
رَوَى ذَاكَ قَومٌ لا يُرَدُّ حَدِيثَهم ✖ ألا خَابَ قَوْمٌ كذَّبوهُم وقُبِّحُوا

صفات الله تعالى باعتبار تعلقها بذات الله وأفعاله قسمان :

الأول: صفات ذاتية لازمة : وهي الصفات التي لم يزل ولا يزال الله تعالى متصفاً بها ، فلا تنفك عنه ولا تتعلق بالمشيئة ، كالعلم والقدرة والحياة .

الثاني: صفات فعلية اختيارية : وهي الصفات التي تتعلق بمشيئة الله تعالى ، إن شاء فعلها وإن شاء لم يفعلها ، كالاستواء على العرش والنزول والضحك .

وقد أراد الناظم بهذه الأبيات ، إثبات صفة من الصفات الفعلية لله تعالى ، وهي صفة النزول ، فقال : (وقل) أيها الأثري بلسانك ، معتقدا بجنانك : (ينزل الجبار) وهو الله تعالى ، له جبر القوة والقهر ، وجبر الرحمة للضعيف والكسير ، وجبر العلو ، مع ما له من صفات الكمال ، ينزل إلى السماء الدنيا (في كل ليلة) ، نزولا يليق بجلاله تعالى ، وهذا مذهب أهل السنة والجماعة ؛ لحديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : " ينزل ربنا كل ليلة

حين يبقى ثلث الليل الآخر إلى السماء الدنيا ، فيقول : من يدعوني فأستجيب له ؟ من يستغفرني فأغفر له ؟ من يسألني فأعطيه ؟ [1]، وقد خالف في ذلك أهل البدع ، كالجهمية وغيرهم ، وفسروا النزول بأنه نزول رحمة الله ، أو أمر الله ، وقال بعضهم : إن الذي ينزل هم الملائكة بأمر الله تعالى ، وهذا صرف واضح للمعنى عن ظاهره ، وأما أهل السنة فإنهم على قاعدتهم الثابتة في صفات الله ؛ فيثبتون صفة النزول لله تعالى (بلا كيف) أي : بلا سؤال عن كيفية النزول ، ولما سئل الإمام مالك رحمه الله عن كيفية استواء الله تعالى على العرش غضب وأمر بإخراج السائل من مجلسه ، وقال كلمته الشهيرة : الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة ا.هـ.

واعلم أن الكيفية لا تعرف إلا بأحد ثلاثة أمور :

١. مشاهدتها.

٢. مشاهدة النظير لها .

٣. خبر الصادق عنها .

ولما لم يحصل شيء من ذلك في كيفية صفات الله ، فقد امتنع على الخلق معرفة كيفيتها ، وقوله : (بلا كيف) لا يراد به نفي ما في الصفة من معنى ، بل فيه إثبات الصفات كما جاءت ، ولا نتعرض لكيفيتها ولا نشبهها بصفات المخلوق ؛ إذ ليس كمثله شيء سبحانه (جل) وعظم (الواحد) المتفرد بجميع الكمالات سبحانه ، وهو تعالى (المتمدح) يحب

---

[1] أخرجه البخاري /. كتاب التهجد / باب الدعاء في الصلاة من آخر الليل/ ١٠٩٢، ومسلم/ كتاب صلاة المسافرين وقصرها / باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل ١٣١٣.

المدح ، ونزوله تعالى (إلى طبق الدنيا) أي : غطاء السماء الدنيا وهي السماء السابعة ، سميت دنيا ؛ لدنوها وقربها من الأرض ، فإذا نزل سبحانه فإنه (يَمُنُّ فضله) فيعطي بجوده وكرمه ، (فَتُفْرَجُ أَبْوابُ السَّماءِ وتُفْتحُ) فيفتح باب الرزق ويفرج الكرب ويزيل الهم ويكشف الغم ، و (يقول) سبحانه : (ألا) وهي أداة للعرض فيها طلب بلين ؛ كما قال تعالى : (ألا تحبون أن يغفر الله لكم) النور ٢٢ ، (مستغفر) وهو اسم فاعل ، وهو طالب المغفرة ، والمغفرة : طلب محو الذنوب والخطايا وسترها ، فإذا استغفر العبد في تلك الساعة ، فإنه (يلق غافرا) لذنبه ، وهو الله تعالى ، وكذا كل طالب (ومستمنح خيرا ورزقا) من منافع الدين والدنيا (فأمنح) أي : يعطيه الله تعالى سؤله ، وقد (رَوَى ذَاكَ) وهو نزول الله تعالى المتقدم ذكره (قَوْمٌ) ، والقوم الجماعة من الرجال ، وهؤلاء (لا يُرَدُّ حَدِيثُهم) لعدالتهم وتواتر خبرهم ؛ فقد روى حديث النزول أكثر من ثلاثين صحابياً ، ومن كذّب قولهم نقول له:(ألا خَابَ قَوْمٌ كذَّبوهُم وقُبِّحُوا) فقد جمعوا مع الخسارة قبح القول ؛ لتكذيبهم خبرَ الصادق المصدوق ﷺ .

- مسألة : خلو العرش عند نزول الله تعالى :

لقد سكت الصحابة ﷺ عن الخوض في هذه المسألة ، واختلف السلف من بعدهم ، وقول جمهور السلف ومنهم الإمام أحمد رحمه الله ، هو أن الله تعالى ينزل ولا يخلو منه العرش ، ونصره من المحققين شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ، وكذلك اختلاف ثلث الليل من بلد إلى بلد ، ونزوله سبحانه إلى سماء هؤلاء في ثلث ليلهم ، وإلى سماء هؤلاء في ثلث ليلهم لا يشغله شأن عن شأن ، وكذلك سبحانه لا يشغله سمع عن سمع ؛ بل هو سبحانه يكلم

العباد يوم القيامة ويحاسبهم ، لا يشغله هذا عن هذا ، [1] فهو سبحانه لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار ؛ فالواجب على العبد الإيمان بالنزول ، من غير بحث في جزئياتها الدقيقة ؛ وليسعه ما وسع الصحابة ﷺ ؛ فإنهم أوسع علومًا وأدق فهومًا .



[1] انظر الفتاوى ٥ / ١٣٢ .

القول في فضل الصحابة ؛ وذِكرُ أفضلهم

قال رحمه الله :

وَقُلْ إنَّ خَيْرَ النَّاسِ بَعْدَ مُحَمَّدٍ ✖ وَزِيراهُ قُدْمًا ، ثُمَّ عُثْمَانُ أرْجَحُ

وَرابِعُهُم خَيْرُ البريَّةِ بَعْدَهُم ✖ عَلِيٌّ حَليفُ الخَيرِ ، بالخَيرِ مُنْجِحُ

وإنَّهُمُ و الرَّهْطُ لا رَيْبَ فِيْهِمُ ✖ عَلَى نُجُبِ الفِرْدَوْسِ في الخُلْدِ تَسْرَحُ

سَعِيدٌ وسَعْدٌ وابنُ عَوْفٍ وطَلْحةٌ ✖ وعَامِرُ فِهْرٍ والزُّبَيْرُ المُمَدَّحُ

(وَعَائِشُ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ وَخَالُنا ✖ مُعَاوِيَة أَكْرِمْ بِهِ فَهْوَ مُصلحُ

وَأَنْصارُه وَالهَاجِرونَ دِيارَهم ✖ بنصرهُمُ عَنْ ظلمةِ النَّارِ زحزحُوا

وَمَنْ بعدَهُم وَالتابِعُون بِحُسنِ مَا ✖ حَذو حَذوهم قَولاً وَفِعلاً فَأفْلحوا

وَقُلْ خَيْرَ قولٍ في الصَّحَابةِ كُلِّهِمْ ✖ ولا تَكُ طَعَّاناً تَعِيْبُ وَتَجْرَحُ

فَقَدْ نَطَقَ الوَحْيُ المبِينُ بِفَضْلِهِمْ ✖ وفي الفَتْحِ آيٌ في الصَّحابةِ تَمْدَحُ

جرت عادة المصنفين في كتب الاعتقاد ، على ذكر الصحابة وبيان فضلهم؛ لأمور منها :

١. أن القدحَ في الصحابة قدحٌ فيمن صحبوا وهو النبي ﷺ ، إذ كيف يُختار للنبي ﷺ أصحاب ليسوا بكفء ؟

٢. ولأن القدحَ فيهم قدحٌ في الرسالة التي أُرسل بها النبي ﷺ ؛لأنهم حملتها إلى الناس .

٣. للردِّ على من ضَلَّ في باب أصحاب النبي ﷺ من أهل البدع ؛ كالغالين في بعضهم ، والناصبين العِدَاءَ لبعضهم ،فَنَصَّ أهل السنة على فضل الصحابة في كتب الاعتقاد ، وبيان المذهب الحقِّ فيهم رضوان الله عليهم أجمعين.

والصحابي :هو من لقي النبي ﷺ مؤمنًا به ومات على الإسلام ، ولو تخللت رِدَّةٌ في الأصح .[1]

ثم شرع الناظم يبيِّنُ فضل الصحابة ؛ بِعَدِّهم وبيانِ أفضلهم ، فقال : (وقل) بواوٍ عاطفةٍ على ما سبق من اعتقاد أهل السنة والجماعة ، أي : قل قولاً بلسانك ، معتقدًا بجنانك ، صحةَ ما فيه ، وهو (إن خير الناس بعد محمد) ﷺ خيريةً مؤكدةً لا مريةَ فيها ، أن أفضل الناس بعد الأنبياء على الإطلاق هم الصحابة ، وأن أفضل صحابة النبي ﷺ (وزيراه) اللذان حملا معه أثقال الدعوة ، وأعاناه برأييهما ، وهما أبو بكر وعمر رضي الله عنهما (قِدما) بكسر القاف أي : منذ ابتداء الدعوة إلى الإسلام ، وبضمها أي : بتقديمهما على من دونهما ولقربهما من النبي ﷺ .

فأما أولهما فهو خليفة رسول الله ﷺ ، وهو أبو بكر رضي الله عنه واسمه عبدالله بن عثمان بن عامر القرشي التيمي ، يُكْنَى بأبي بكر ، ولد بعد عام الفيل بسنتين وستة أشهر ، وهو أول من أسلم من الرجال ، وصفه النبي ﷺ بـ " **الصديق** " ، وقد أسلم على يديه أكابر الصحابة مثل عثمان ، وطلحة ، والزبير ، عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنهم ، توفي رضي الله عنه سنة ثلاث عشرة من الهجرة .

---

[1] انظر : الإصابة في تمييز الصحابة ١ / ٢ — ٣ ، ونزهة النظر في توضيح نخبة الفكر ١٣٦.

وأما ثانيهما فهو عمر بن الخطاب بن نُفيل القرشي العدوي ﷺ ، يُكْنَى بأبي حفص ، ويلقب بالفاروق ، ولد بعد عام الفيل بثلاث عشرة سنة ، عُرف بشدته وقوته ومكانته الرفيعة ، وهو من علماء الصحابة وزهادهم ، وقد وافق القرآنُ رأيَه في أكثر من موضع ، توفي ﷺ سنة ثلاث وعشرين من الهجرة ، شهيدا بطعنات أبي لؤلؤة المجوسي .

ثم بَيَّنَ الناظمُ ثالثَهما في الفضل ، فقال: (ثم عثمان أرجح) ، وهو عثمان بن عفَّان بن أبي العاص بن أمية القرشي الأموي ﷺ ، يُكْنَى بأبي عبدالله ، ويلقب بذي النورين ، ولد بعد عام الفيل بست سنين ، وهو أول من هاجر إلى الحبشة ، والذي استقر عليه أهل السنة والجماعة بعد خلاف قديم ، أن عثمان ﷺ هو أفضل الصحابة بعد أبي بكر وعمر ﷺ ، وإليه أشار الناظم بقوله :(أرجح) أي : على القول الراجح ؛ فترتيبهم في الفضل كترتيبهم في الخلافة ، توفي ﷺ في داره بالمدينة شهيدا ، على يد الخوارج ، سنة خمس وثلاثين من الهجرة ﷺ .

ثم أشار إلى رابع الخلفاء الراشدين ، بقوله : (ورابعهم خير البرية) أي: الخليقة (بعدهم) أي: بعد أبي بكر وعمر وعثمان ﷺ ، وهو (عليٌّ) بن أبي طالب بن عبدالمطلب القرشي الهاشمي ﷺ ، يُكْنَى بأبي الحسن ، وأول من أسلم من الصبيان ، وهو من كبار علماء الصحابة و، كان (حليف الخير) أي : ملازمٌ للخير ، والخيرُ ملازم له ، وهو (بالخير مُنجِحُ) أي : له الظفر والسبق إلى الخير ، ولد قبل البعثة بعشر سنين ، وتوفي ﷺشهيدا سنة أربعين من الهجرة ، على يد الخارجي عبدالرحمن بن مُلجِم .

وهؤلاء الأربعة هم الخلفاء الراشدون المهديون ، الذين حملوا لواء الدولة الإسلامية بعد الرسول ﷺ ، (وإنهم) أي : الخلفاء الأربعة ، (والرهط) أي: الجماعة من ثلاثة إلى عشرة ، والمراد به هنا بقية العشرة المبشرين بالجنة ؛ فإنهم (لا ريب فيهم) ولا شك ؛ لأن النبي ﷺ شهد لهم بالجنة ، فهم في نعيم الجنة يتقلبون ، و(على نجب الفردوس) يرتحلون ، والنُّجُبُ : جمع نجيبة وهي أنفس المال وأطيبه ، والمراد بها هنا كرائم نوق الفردوس ، والفردوس أعلى الجنة وأوسطها ، فهي في النعيم و(في الخُلْدِ تَسْرَحُ) براكبها .

ثم ذكر بقية العشرة المبشرين بالجنة ، فقال : (سَعِيدُ) بن زيد بن عمرو العدوي القرشي رضي الله عنه ، (وسَعْدُ) بن أبي وقاص الزهري القرشي رضي الله عنه ، وعبدالرحمن (بنُ عَوْفٍ) الزهري القرشي رضي الله عنه ، (وطَلْحةُ) بن عبيد الله الزهري القرشي رضي الله عنه ،(وعَامِرُ) بن عبدالله بن الجراح بن (فِهْرٍ) القرشي رضي الله عنه ، (والزُّبَيْرُ) بن العوام الأسدي القرشي رضي الله عنه ، وهو(المِمَدَّحُ) أي: له أوصاف كريمة ، وخلال شريفة ، استحق المدح عليها ، فهؤلاء هم العشرة المبشرون بالجنة رضي الله عنهم ؛ وخصوا بهذا الاسم مع وقوع الشارة بالجنة لغيرهم ؛ لأن بشارتهم بالجنة وردت في حديث واحد .

ففي مسند أحمد وسنن الترمذي ، عن عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال (أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة،وعلي في الجنة،وطلحة في الجنة،والزبير في

الجنة،وعبد الرحمن بن عوف في الجنة،وسعد بن أبي وقاص في الجنة،وسعيد بن زيد في الجنة،وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة) [1].

وفي رواية عن أبي داود وغيره ، عن سَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ ﷺ قَالَ: أَشْهَدُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنِّي سَمِعْتُهُ وَهُوَ يَقُولُ : (عَشَرَةٌ فِي الْجَنَّةِ: النَّبِيُّ ﷺ فِي الْجَنَّةِ، وَأَبُو بَكْرٍ ﷺ فِي الْجَنَّةِ، وَعُمَرُ ﷺ فِي الْجَنَّةِ، وَعُثْمَانُ ﷺ فِي الْجَنَّةِ، وَعَلِيٌّ ﷺ فِي الْجَنَّةِ، وَطَلْحَةُ ﷺ فِي الْجَنَّةِ، وَالزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ ﷺ فِي الْجَنَّةِ، وَسَعْدُ بْنُ مَالِكٍ ﷺ فِي الْجَنَّةِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ ﷺ فِي الْجَنَّةِ، وَلَوْ شِئْتُ لَسَمَّيْتُ الْعَاشِرَ، قَالَ: فَقَالُوا: مَنْ هُوَ؟ فَسَكَتَ، قَالَ: فَقَالُوا: مَنْ هُوَ؟ فَقَالَ: هُوَ سَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ ﷺ) صححه الألباني .

ثم نصَّ على بعض الصحابة بأسمائهم ؛ ردًّا على من طعن فيهم ، ومنهم (عَائِشُ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ) وهي عائشة بنت أبي بكر رضي الله عنها ، وقوله : (عائشُ): وهذا يسمونه في اللغة الترخيمُ ، فيجوز الضم ويجوز الفتح للكلمة ، والقصد منه تخفيف الاسم [2] ، ومنهم أيضًا (خالُنا معاوية) بن أبي سفيان ﷺ ، ووصفه بأنه خالٌ للمؤمنين ؛ لأنه أخٌ لأم المؤمنين أم حبيبة بن أبي سفيان رضي الله عنها فأكرم بها ، و (أكرم به فهو مصلح) وهو أول ملوك المسلمين ﷺ .

---

(١) رواه الترمذي (٣٧٤٧)، وأحمد (١/١٩٣) (١٦٧٥) ، وحسنه ابن حجر في ((هداية الرواة)) (٥/٤٣٦) – كما ذكر في مقدمته – ، وقال أحمد شاكر في ((مسند أحمد)) (٣/١٣٦): إسناده صحيح. وقال الألباني في ((صحيح سنن الترمذي)): صحيح.

(٢) الترخيم : هو حذف أواخر الكلم في النداء ، نحو : (يا فاطم) (يا سعا)، ولا يجوز الترخيم في المنادى إلا إذا كان مؤنثا بالهاء علما أو غير علم ، أما إذا كان غير مؤنث بالهاء فلا يرخم إلا إذا كان رباعيا فأكثر ، نحو : (يا جعف) أي يا جعفر ، و(يا حار) ، أي يا حارث.

ثم ذكر الناظم الصحابة على وجه الإجمال؛ بذكر وصفين لهم وهما الهجرة والنصرة ، فقال : (وَأَنْصارُه) وهم أنصار النبي ﷺ من أهل المدينة ، (وَالمهَاجِرونَ ديارهم) وهم المهاجرون، فهؤلاء بهجرتهم و(بنصرهُمُ) للنبي ﷺ أدخلوا الجنة ، و(عَنْ ظلمةِ النَّارِ) والدخولِ فيها (زحزحُوا) وأبعدوا ، ﷺ أجمعين ، وكذا (مَنْ بعدَهُم وَالتابِعُون) لهم (بِحُسنِ) واتباع (ما حَذو حَذوهم قَولاً وَفِعلاً) فكان هذا الاتباع بإحسان سببًا في نجاتهم ؛ (فَأفْلحوا) وربحوا .

ثم أجمل الناظم القول في الصحابة قائلا : (وَقُلْ خَيْرَ قولٍ في الصَّحَابةِ كلِّهم) بلا استثناءٍ ، وأفاد هذا الإجمال بيانَ منهج أهل السنة في الصحابة ، المتمثل في حفظ فضلهم العظيم ، ومعرفة قدرهم ومنزلتهم الرفيعة ، فلا غلو في محبتهم ، ولا جفاء في حقهم ، والحق بين ضلالتين ، والنور بين ظلمتين ، مع إمساك اللسان عما شجر بينهم من الفتن ، وعدم الخوض في ذلك بسبٍّ أو قدحٍ ؛فلا تذم (ولا تَكُ طَعَّاناً) فيهم ، (تَعِيْبُ وَتَجْرَحُ) ؛ وقوفًا عند قوله ﷺ ؛ كما في حديث أبي هريرة ﷺ : " لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما أدرك مدَّ أحدهم ولا نصيفه " [1] ، وقبل ذلك جاء ذكر فضلهم في القرآن ؛ (فَقَدْ نَطَقَ الوَحْيُ المبينُ بِفَضْلِهِم) وبيان حقهم ، والترضي عنهم ، في غير ما سورة ، (وفي) سورة (الفَتْحِ آيٌ في الصَّحابةِ تَمْدَحُ) وتثني عليهم ، وهي قوله تعالى : (محمدٌ رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا

---

(١) أخرجه مسلم / كتاب فضائل الصحابة / باب تحريم سب الصحابة / ٢٥٤٠ .

يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود) الآية في سورة الفتح ٢٩ ، ﷺ وأرضاهم أجمعين .



القول في الإيمان بالقدر

قال رحمه الله :

فَقَدْ نَطَقَ الوَحْيُ المبِينُ بِفَضْلِهِمْ ☒ وفي الفَتْحِ آيٌ في الصَّحابةِ تَمْدَحُ

القدر لغةً : مصدر قَدَرَ يَقدُرُ قَدْرًا وقَدَرًا من التقدير والإحاطة.[1]

وشرعًا : علمُ الله بالأشياء أزلاً، وكتابته إياها ومشيئته وخلقه لها .

والفرق بين القدر والقضاء عند من يفرق بينهما : أن القدر هو تقدير الله للشيء أزلاً ، والقضاء هو حكم الله بالشيء عند وقوعه .

وأهل السنة والجماعة يعتقدون أن للإنسان قدرة ومشيئة ،لكنها داخلة تحت قدرة الله تعالى ومشيئته ؛ كقراءتك لهذا الكتاب ، فلك فيها قدرة ومشيئة ولكنها بقضاء الله وقدره ؛ قال تعالى :(والله خلقكم وما تعملون) الصافات ٩٦. أي : خلقكم بمشيئته وتقديره ، وتعملون بمشيئتكم الداخلة تحت مشيئة الله تعالى ، وهذا هو القول الوسط في مسألة القدر.

وقد خالف في ذلك طوائف من أهل البدع كانوا طرفي نقيض ، فطرفٌ وهم القدرية من المعتزلة ، قالوا : إن للإنسان قدرة ومشيئة يختار بها أفعاله ، ويخرجونها عن قدرة الله ومشيئته ، ويقولون : إن الله لم يقدر له ذلك ، وطرفٌ وهم الجبرية من الجهمية ، قالوا : إن

---

[1] انظر مقاييس اللغة ٥ / ٦٣ .

الإنسان مجبور على أفعاله لا اختيار له فيها ولا مشيئة له ، فهو كالريشة في مهب الريح ، والحق بين ضلالتين ، وهو قول أهل السنة والجماعة الموافق للأدلة .

واعلم -رحمك الله- أن للقدر أربع مراتب :

١. العلم : وهو علم الله بما كان ، وبما يكون ، وبما لم يكن لو كان كيف يكون ؟

٢. الكتابة : وهي كتابة الله مقادير الأمور في اللوح المحفوظ .

٣. المشيئة : وهي مشيئة الله وإرادته لكل ما يجري ، فما شاء الله كان ، وما لم يشأ لم يكن .

٤. الخلق : وهو خلق الله كلَّ شيء .

وقد جمع بعضهم المراتب الأربع في قوله :

علمٌ كتابةُ مولانا مشيئته *** وخلقه : وهو إيجادٌ وتكوينُ

وقد بين الناظم الواجب على العبد تجاه القدر ، فقال : (والقدر المقدور) أي : الصادر من الله تعالى ، (أيقن) أي : اعتقد اعتقادا جازما لا يخالطه شك ولا ريب ؛ (فإنه دعامة) أي : أساس (عقد الدين) وهو ما بعقد عليه دين العبد ويبنى ويوثق ؛ وبدونه ينهدم صرح الدين في قلب العبد ؛ كما قال مِسعر بن كدام رحمه الله : إن التكذيب بالقدر أبو جاد الزندقة [1] ، أي : بداية الزندقة وأولها ، (والدين أفيح) أي : أوسع لا حرج فيه و لا مشقة على العبيد .



[1] حلية الأولياء ٧ / ٢١٨ .

القول في القبر والحوض والميزان

قال رحمه الله :

وَلا تُنْكِرَنْ جَهلاً نَكِيرًا ومُنْكَراً ☒ وَلا الحَوْضَ والمِيزانَ إنَّكَ تُنْصَحُ

ثم شرع الناظم يبيِّنُ اعتقاد أهل السنة والجماعة ، في الإيمان بالغيب بِذِكرِ ما يكون بعد الموت من أهوال القبور ، وما يكون في القيامة من الحوض والميزان، وسوف يشير إلى نعيم القبر وعذابه عند حديثه عن الشفاعة -إن شاء الله-.

فقال : (ولا) ناهيًا نهيَ جزم ، (تنكرن) فعل مضارع مبنيٌّ على الفتح ؛ لاتصاله بنون التوكيد الخفيفة ، يَحُضُّ السنيَّ الأثريَّ على التصديق وعدم الإنكار لما يقع في القبر من نعيم أو عذاب علمًا منه أو (جهلاً) ؛ فجب عليه الإيمان بأن (نَكِيرًا ومُنْكَراً) ملكان يأتيان كل عبدٍ في قبره – مؤمنًا كان أو كافرًا على الصحيح – ؛ فيسألانه على أصولٍ ثلاثةٍ هي : من ربك ؟ وما دينك ؟ ومن نبيك ؟ فيوفق المؤمن للجواب ، ويخطئ الكافرُ الصوابَ ، وقد أراد الناظم الإشارة إلى ما يقع في القبر من الفتنة التي يجب على العبد الإيمان بها ؛ لأنها من أمور الغيب التي وردت الأدلة بتصديقها .

والنصُّ على اسم الملكين-نكيرٍ ومنكرٍ- ورد في حديث أبي هريرة ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : (إِذَا قُبِرَ الْمَيِّتُ أَوْ قَالَ أَحَدُكُمْ أَتَاهُ مَلَكَانِ أَسْوَدَانِ أَزْرَقَانِ يُقَالُ لأَحَدِهِمَا الْمُنْكَرُ وَالآخَرُ النَّكِيرُ ، فَيَقُولَانِ : مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ ؟ فَيَقُولُ مَا كَانَ يَقُولُ :

هُوَ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ ، أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ . فَيَقُولانِ : قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ هَذَا ، ثُمَّ يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعًا فِي سَبْعِينَ ، ثُمَّ يُنَوَّرُ لَهُ فِيهِ ، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ : نَمْ ، فَيَقُولُ : أَرْجِعُ إِلَى أَهْلِي فَأُخْبِرُهُمْ ، فَيَقُولَانِ : نَمْ كَنَوْمَةِ الْعَرُوسِ الَّذِي لا يُوقِظُهُ إِلا أَحَبُّ أَهْلِهِ إِلَيْهِ حَتَّى يَبْعَثَهُ اللَّهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ) رواه الترمذي في سننه،وحسنه الألباني. [1]

واعلم أن الأدلة عامة في فتنة القبر ؛ فيدخل فيها جميع الخلق –مؤمنهم وكافرهم– ، وقد وردت أدلة خاصة في أصناف من الخلق يأمنون من فتنة القبر وهم :

١. الأنبياء والمرسلون ؛ لحديث جابر ﷺ أن النبي ﷺ قال :" وأنتم تسألون عني ، فما أنتم قائلون ؟ "[2] ، فلما كان السؤال عنهم لا لهم ؛ دلَّ على أنهم لا يسألون .

٢. من مات مرابطا في سبيل الله: والمراد بالرباط : الملازمة في سبيل الله على الثغور ؛ يدل لذلك حديث سلمان ﷺ قال : سمعت النبي ﷺ يقول : " رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه ، وإن مات جرى عليه عمله الذي كان يعمله ، وأجري عليه رزقه ، وأمن من الفَتَّان " [3] أي : من فتاني القبر وهما منكر ونكير [4].

---

[1] أخرجه الترمذي / كتاب الجنائز / باب ما جاء في عذاب القبر / ١٠٧١

[2] أخرجه مسلم / كتاب الحج / باب حجة النبي صلى الله عليه وسلم / ١٢١٨ .

[3] أخرجه مسلم / كتاب الإمارة / باب فضل الرباط في سبيل الله / ٣٦٤٨ .

[4] انظر : فيض القدير ٥ / ٤٤ .

٣. من مات شهيدا في سبيل الله ؛ لحديث راشد بن سعد عن رجل من أصحاب النبي ﷺ أن رجلا قال : يا رسول ما بال المؤمنين يفتنون في قبورهم إلا الشهيد ؟فقال ﷺ : " كفى ببارقة السيوف على رأسه فتنة " [١]

٤. من مات مبطونا : لحديث عبدالله بن يسار رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : " من يقتله بطنه فلن يعذب في قبره " [٢] .

٥. من مات يوم الجمعة أو ليلتها ؛ لحديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال :" ما من مسلم يموت يوم الجمعة أو ليلة الجمعة إلا وقاه الله فتنة القبر ". [٣][٤]

ثم بين الناظم أن من اعتقاد أهل السنة والجماعة الإيمان بالحوض ، عاطفا له على الإيمان بما يكون في القبر ، فقال : (ولا الحوض) أي : ولا تنكرن الحوض .

والحوض لغةً : مُجْتَمَعُ الماء، وهو مفردٌ وجمعه : حِياضٌ وأَحواض [٥].

وشرعًا :هو حوض النبي ﷺ في عَرَصات يوم القيامة ،وله ميزابان من نهر الكوثر في الجنة .

---

[١] أخرجه النسائي في المجتبى / كتاب الجنائز / الشهيد / ٢٠٥٥ ، وصححه الألباني كما في تعليقه على النسائي ٣٢٧ .

[٢] أخرجه النسائي في المجتبى / كتاب الجنائز / من قتله بطنه / ٢٠٥٤ ، وصححه الألباني كما في تعليقه على النسائي ٣٢٧ .

[٣] أخرجه أحمد في المسند ٢ / ١٧٦ برقم ٦٦٤٦ ،وحسنه الألباني في أحكام الجنائز ٥٠ .

[٤] انظر للاستزادة التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة للقرطبي ٤١٥ – ٤٢٢ ، والروح لابن القيم ٧٩–٨٢.

[٥] انظر: لسان العرب ٤ / ٢٧٢ .

دَلَّ له حديث عقبة بن عامر ﷺ أن النبي ﷺ خرج يومًا فصلى على أهل أحد صلاته على الميت ، ثم انصرف إلى المنبر ، فقال: " إني فرطكم ، وأنا شهيد عليكم ،وإني والله لأنظر إلى حوضي الآن ...." [1]، وقد تواتر حديث الحوض عن أكثر من أربعين صحابيا .

- **ماهو موضع الحوض يوم القيامة ؟**

اختلف العلماء في موضع الحوض في عرصات يوم القيامة ، والأقرب –والله أعلم– أن الحوض قبل الصراط والحساب ؛ لمناسبته حال الناس يوم المحشر ؛ فإنهم يخرجون من قبورهم عطشى ، قد بلغ منهم الظمأ مبلغًا عظيمًا ؛ فناسب وجود الحوض والحال هذه ؛ ولأنه من الناس من يصرف عن الحوض إلى النار ، فلو كان بعد الصراط ؛ لصعب عليهم بلوغه ؛ لأن الصراط لا يجوزه إلا من سيدخل الجنة ، وهذا اختيار القرطبي ؛كما في التذكرة . [2]

- **ما هي أوصاف الحوض ؟**

جاء ذكر أوصاف حوض النبي ﷺ في أحاديث منها حديث عبدالله بن عمرو ﷺ أن النبي ﷺ قال : " حوضي مسيرة شهر ، ماؤه أبيض من اللبن ، وريحه أطيب من المسك ، وكيزانه كنجوم السماء ، من شرب منها فلا يظمأ أبدًا "[3] ، وفي حديث أبي ذر ﷺ : " ماؤه أشد بياضا من اللبن ، وأحلى من العسل " [4] ، فذكر أن سعته مسيرة شهر ، وأن

---

[1] أخرجه البخاري / كتاب الجنائز / باب الصلاة على الشهيد / برقم ١٢٩٢ .

[2] انظر : التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة ص٣٦٢ .

[3] أخرجه البخاري / كتاب الرقاق / بابٌ في الحوض / رقم ٦٢٠٨ ، ومسلم / كتاب الفضائل / باب إثبات حوض نبينا صلى الله عليه وسلم وصفاته / رقم ٤٣٦٦ .

[4] أخرجه مسلم / / كتاب الفضائل / باب إثبات حوض نبينا صلى الله عليه وسلم وصفاته / رقم ٤٣٧٧ .

لونه أبيض من اللبن ، وأن طعمه أحلى من العسل ، وأن رائحته أطيب من المسك ، وأن آنيته كنجوم السماء عددًا وبهاءً ، وإذا كان هذا وصف حوض خارج الجنة ، فكيف بالجنة ونعيمها ؛ فهو أعظم ولابد .

ويعتقد أهل السنة والجماعة أن لكل نبي حوضًا ؛ عدلا بين الخلائق ؛ لشدة الموقف يومئذٍ ، وأن الحوض موجود الآن حقيقة ؛ لما تقدم من قوله صلى الله عليه وسلم : " وإني والله لأنظر إلى حوضي الآن " ، وقد خالف في ذلك المعتزلةُ من أهل البدع ، والأدلة قد تواترت في إثبات الحوض ، فلا عبرة بخلافهم .

ثم بين الناظم أن من اعتقاد أهل السنة والجماعة الإيمان بالميزان ، فقال : (والميزان) أي: ولا تنكرن الميزان .

والميزان لغةً: من وَزَنَ وهو بناء يدل على تعديل واستقامة ، وبيانِ قدرٍ[1] .

وشرعًا: هو ميزانٌ حِسِّيٌّ حقيقيٌّ له لسانٌ وكفتان يوزن فيه يوم القيامة العباد وأعمالهم وصحائفها .

دلَّ له قوله تعالى : (والوزن يومئذ الحق) الأعراف ٨ ، وقد خالف في ذلك من أهل البدع المعتزلةُ ، وقالوا : إن الوزن معنويٌّ ، والمراد به العدل ، والحقُّ ما جاءت به الأدلة ، وأن الوزن على حقيقته كما سيأتي إن شاء الله .

---

[1] انظر : مقاييس اللغة ٦ / ١٠٧ .

- واعلم –رحمك الله– أن الموزون يوم القيامة ثلاثة :

١. العامل : ويدلُّ له قصة عبدالله بن مسعود ﷺ أنه صعد يومًا أعلى شجرة يجتني منها أراكًا لرسول الله ﷺ .. فرأى الصحابة دِقَّةَ ساقيه فضحكوا ، فقال ﷺ : " مم تضحكون ؟ " ، قالوا : من ساقيه ، فقال :" والذي نفسي بيده لهما أثقل في الميزان من أحد "[١] .

٢. العمل :ويدلُّ له آيات كثيرة ،منها قوله تعالى:(فأما من ثقلت موازينه) القارعة ٦ ، أي: رجحت حسناته .

٣. صحائف الأعمال : ويدلُّ له حديث عبدالله بن عمرو ﷺ –المعروف شهرة بحديث البطاقة– أن النبي ﷺ قال:" يصاح برجل من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينشر له تسع وتسعون سجلاً كل سجل مد البصر. ثم يقال: أتنكر من هذا شيئًا؟ فيقول: لا يا رب. فيقال: ألك عذر أو حسنة؟ فيهاب الرجل ويقول: لا. فيقال: بلى إن لك عندنا حسنة. وإنه لا ظلم عليك اليوم فيخرج له بطاقة – وهي الورقة الصغيرة – فيها: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله. فيقول: يا رب وما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فيقال: إنك لا تظلم. فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة"[٢]

---

[١] أخرجه أحمد في المسند / رقم ٣٩٩١ ، وحسنه الألباني كما في إرواء الغليل ١ / ١٠٤.

[٢] أخرجه ابن ماجه / كتاب الزهد / باب ما يرجى من رحمة الله يوم القيامة / برقم ٤٣٠٠ ، وصححه الألباني في تعليقه على سنن ابن ماجه ص ٧١٢.

وقد جمعها بعضهم في قوله :

الوزن في أصح قولٍ للعملْ *** وعاملٍ مع صُحْفه نلت الأملْ

فهذا اعتقاد أهل السنة والجماعة فيما يكون بعد الموت من القبر وأهواله ، والحوض وأحواله ، والميزان وأثقاله ، فخذ به أيها السنيُّ (فإنك) اليوم (تُنصح) نصيحةَ مشفق عليك ، مريد الخيرَ لك .



القول في عصاة الموحدين يوم القيامة

قال رحمه الله :

وقُلْ يُخْرِجُ اللهُ العَظيمُ بِفَضلِهِ ☒ مِن النارِ أجْسادًا مِن الفَحْمِ تُطْرَحُ

عَلَى النَّهرِ في الفِردوسِ تَحْيا بِمَائِهِ ☒ كَحَبِّ حَمِيلِ السَّيْلِ إذْ جَاءَ يَطْفَحُ

ثم بيَّن الناظم مذهب أهل السنة والجماعة في عصاة الموحدين يوم القيامة ؛ إذا هم ولجوا النار ، بأنهم لا يخلدون فيها ؛ وقد دلَّ لذلك نصوصٌ كثيرة منها حديث أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : (إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ يَقُولُ اللَّهُ : مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ ، فَيَخْرُجُونَ ، قَدْ امْتُحِشُوا أي: احترقوا ، وَعَادُوا حُمَمًا ، فَيُلْقَوْنَ فِي نَهَرِ الْحَيَاةِ ، فَيَنْبُتُونَ كَمَا تَنْبُتُ الْحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : (أَ لَمْ تَرَوْا أَنَّهَا تَنْبُتُ صَفْرَاءَ مُلْتَوِيَةً)[1]، وقد خالف في ذلك من أهل البدع المعتزلة والخوارج ، فقالوا بخلود أصحاب الكبائر من المسلمين في النار ؛ كما سيذكره الناظم قريبا إن شاء الله .

والكبيرة من الذنوب:هي كل ذنب توعد فيه بِحَدٍّ في الدنيا ، أو عذاب أو لعن في الآخرة .

---

[1] أخرجه البخاري / كتاب الرقاق / باب صفة الجنة والنار / برقم ٦٥٦٠ ، ومسلم / كتاب الإيمان / باب إثبات الشفاعة وإخراج الموحدين من النار / برقم ١٨٤ .

فقال الناظم : (وقل) عطفًا على ما تقدم من اعتقاد أهل السنة والجماعة ، فقل بلسانك معتقدا ذلك بجنانك (يخرج الله العظيم بفضله) وكرمه (من النار أجسادا من الفحم) أي : احترقت هذه الأجساد حتى صارت فحمًا ، وهو الجمر المطفي ، والمراد بهم أهل الكبائر من الموحدين ، فإذا خرجت هذه الأجساد المحترقة ، فإنها (تطرح على النهر) أي: في النهر وهو نهر الحياة المتقدم ذكره ، وهو (في) جنة (الفردوس) ، فإذا ألقيت فيه ، فإنها (تحيا بمائه) ؛ فتنبت (كـ) نبات (حب حميل السيل) أي : الذي يحمله السيل ؛ فإنه ينبت ماشرةً ، (إذ) أقبل السيل و (جاء) مسرعًا (يطفح) متكاثرًا بمائه .



القول في الشفاعة ، ونعيم القبر وعذابه

قال رحمه الله :

فإنَّ رَسُولَ اللهِ للخَلقِ شَافعٌ ☒ وقُلْ فِي عَذابِ القَبرِ حقٌّ مُوَضَّحُ

أراد الناظم في هذا البيت أن يشير إلى أمرين :

١. إثبات شفاعة النبي ﷺ .

٢. إثبات ما في القبر من نعيم أو عذاب .

أولاً : المراد بالشفاعة :- هي التوسط لأحدٍ بجلب نفع أو دفع ضرٍّ .

والمراد بالشفاعة هنا : الشفاعة عند الله ، والناس في الشفاعة على ثلاثة أضرب :

١. قسم غلا فيها ، فزعموا أن كل معبود يشفع وإن كان باطلا ، وهم الصوفية ، ومن شاكلهم كالنصارى .

٢. قسم نفاها مطلقًا ، وهم المعتزلة والخوارج ؛ لأنها تنافي معتقدهم في أصحاب الكبائر على ما سيأتي -إن شاء الله - .

٣. قسم وسط بينهما ؛ فأثبتوها كما جاءت في النصوص ، وهم أهل السنة والجماعة .

واعلم — رحمك الله — أن الشفاعة قسمان :

القسم الأول: الشفاعة المثبتة ، وهي الشفاعة الثابتة بالنصوص الشرعية ، ولها شرطان :

١. إذن الله للشافع أن يشفع . ٢. رضا الله عن المشفوع له .



ويدل لهما قوله تعالى:(يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضي له قولا)طه ١٠٩ .

القسم الثاني:الشفاعة المنفية،وهي الشفاعة التي نفاها الشرع ؛لعدم توافر الشرطين المتقدمين ، كدعوى المشركين بشفاعة آلهتهم عند الله ؛ فأبطلها الله تعالى بقوله : (فما تنفعهم شفاعة الشافعين) المدثر ٤٨

والشفاعة المثبتة نوعان :

١. عامة : وتكون لمن أذن الله لهم بالشفاعة من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ؛كالشفاعة لعصاة الموحدين في الخروج من النار .

٢. خاصة : وهي شفاعة خاصة بالنبي ﷺ ؛كشفاعته في أهل الموقف أن يقضى بينهم ، وهذه هي الشفاعة العظمى ، وشفاعته في أهل الجنة أن يدخلوها ، وشفاعته لعمه أبي طالب أن يخفف عنه العذاب .

فبين الناظم:(أن رسول الله ﷺ ، (للخلق شافع) على ما تقدم بيانه.

ثانيا : نعيم القبر وعذابه :

ثم عطف الناظم على اعتقاد أهل السنة الواجب قائلا : (وقل في عذاب القبر) ونعيمه (حق موضح) ثابتٌ بالأدلة ، فأما نعيم القبر فقد ثبت في أدلة منها حديث البراء بن عازب رضي الله عنه ، وفيه أن النبي ﷺ قال في العبد المؤمن : "... فينادي منادٍ من السماء أن

صدق عبدي فأفرشوه من الجنة ،وافتحوا له بابا إلى الجنة ، فيأتيه من ريحها وطيبها ، ويفسح له في قبره مدَّ بصره ..."[1].

وأما عذاب القبر ؛ فقد دلَّ نصوص كثيرة منها قوله تعالى عن آل فرعون : (النار يعرضون عليها غدوًّا وعشيًّا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشدَّ العذاب) غافر ٤٦ ، فهذا العرض على النار هو في دار البرزخ قبل دخولها يوم القيامة –والعياذ بالله – ، قال ابن كثير رحمه الله : هذه الآية أصلٌ كبير في استدلال أهل السنة على عذاب البرزخ والقبور.[2]



[1] أخرجه ابن ماجه وغيره / كتاب الزهد / باب ذكر القبر والبلى / رقم ٤٢٣٩ ، وصححه الألباني في تعليقه على سنن ابن ماجه ٧٠٧.

[2] انظر : تفسير ابن كثير ٤ / ١٠٤.

القول في أهل الكبائر من الموحدين

قال رحمه الله :

ولا تُكْفِرَنَّ أهْلَ الصَّلاةِ وإنْ عَصَوا ✖ فكلُّهُمُ يَعْصِي وذُو العَرشِ يَصْفَحُ

ولا تَعتقِدْ رَأيَ الخَوارِجِ إنَّهُ ✖ مَقَالٌ لِمَنْ يهواهُ يُرْدِي ويَفْضَحُ

ولا تَكُ مُرْجِيًّا لَعُوبًا بِدِينِهِ ✖ ألا إنَّمَا المرْجِيُّ بالدِّينِ يَمْزَحُ

اعلم –رحمك الله – أن الذنوب قسمان :

١. كبائر : جمع كبيرة ، وهي كل ذنب توعد عليه بحد في الدنيا ، أو وعيد بعذاب أو لعن أو عضب في الآخرة .

٢. صغائر : جمع صغيرة ، وهي ما كان دون ذلك ، قال تعالى : (والذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم) النجم ٣٢ ، واللمم : صغائر الذنوب [١] .

ثم يبين الناظم مذهب أهل السنة والجماعة في مرتكب الكبيرة ، وذكر المخالفين لهم من أهل البدع ، وينتظم تقسيمهم في أربعة مذاهب :

الأول : مذهب أهل السنة والجماعة ، فإنهم لا يكفرون صاحب الكبيرة ، فهو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته ، ومتوعد بالعذاب ، وإن مات ولم يتب فإنه تحت مشيئة الرحمن إن

[١] انظر : تفسير ابن كثير ٤ / ٣٢٧.

شاء غفر له ، وإن شاء عذبه ؛ وليس ذلك تهاونًا بالذنوب ؛ ولكن جمعًا بين أدلة الوعد والوعيد ، ومن قواعد السلف أنه لا كبيرة مع الاستغفار ، ولا صغيرة من الإصرار ، ولابد للكبائر من توبة نصوح .

الثاني: مذهب الخوارج ، وسموا خوارجَ ؛ لأنهم خرجوا على عليٍّ ﷺ ، ومذهبهم في مرتكب الكبيرة أنه كافر ،في الدنيا ، وفي الآخرة مخلدٌ في النار ، واستدلوا بأدلة الوعيد فقط .

الثالث : مذهب المعتزلة ، وسموا معتزلةً ؛ لأنهم اعتزلوا مجلس الحسن البصري ، وينسبون إلى واصل بن عطاء ، ومذهبهم في مرتكب الكبيرة أنه في الدنيا في منزلة بين منزلتين ، أي : بين الإيمان والكفر ، وفي الآخرة مخلدٌ في النار ، واستدلوا بأدلة الوعيد وحدها أيضا.

الرابع : مذهب المرجئة ، وسموا مرجئةً ؛ لأنهم يرجئون أي : يؤخرون الأعمال عن مسمى الإيمان وحقيقته ، فيقولون : لا تضر من الإيمان معصية ، فيساوون بين أتقى الخلق وأفجرهم في الإيمان ، ومذهبهم في مرتكب الكبيرة أنه لا يكفر ويُرجئ أمره إلى يوم القيامة ، واستدلوا بأدلة الوعد فقط.

والحق الذي لا مرية فيه هو مذهب أهل السنة والجماعة ، وعليه عقد الناظم هذه الأبيات ، فقال : (ولا تكفرن) والتكفير : هو الإخراج من ملة الإسلام ، فلا تكفر إلا من ثبت كفره بالأدلة ، واحذر من تكفير الأعيان ، ورُدَّهُ إلى أهل العلم الراسخين فيه ، فلا تكفر أهل التوحيد ممن عرفوا بـ (الصلاة وإن عصوا) ووقعوا في الكبائر ؛ ونسبتهم إلى الصلاة ؛ لأنها عمود الإسلام ، وأعظم أركانه العملية ، فلا يكفرون بالمعاصي ما داموا في دائرة الإسلام ؛ إذ لا يسلم أحد من الذنوب صغيرها وكبيرها ؛(فكلهم يعصي) ؛ لأن

الأصل في العبد الخطأ والجهل ؛ كما في حديث أنس ﷺ أن النبي ﷺ قال : "كل ابن آدم خطاء ، وخير الخطائين التوابون " [1] . ومع ذلك فإن المذنب إذا تاب واستغفر تاب عليه (ذو العرش) ؛ فيغفر و(يصفح) ، ويتجاوز عنه سبحانه وتعالى .

وحذر الناظم من اعتقادات أهل البدع ممن تقدم ذكرهم ، فقال : (ولا تعتقد رأي الخوارج) وتقدم ذكره ؛ لأن قولهم (مقال لمن يهواه يردي ويفضح) ، فغاية ما فيه أنه اتباع للهوى لا الهدى ، وتنكب عن الصراط المستقيم ، وأيضا (لا تك مرجيًّا) وتقدم ذكرهم ، (لعوبا بدينه) لأن من عرف أن إيمانه كأتقى الخلق ؛ فسوف يتخذ الدين لهوا ولعبا ، ولايبالي بالتقصير في الطاعات ، واقتراف المحرمات ، وهذه هي حقيقة مذهب الإرجاء ، (ألا إنَّمَا المُرْجِيُّ بالدِّينِ يَمْزَحُ) ولا بد .



[1] أخرجه الترمذي / كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ / باب منه برقم ٢٤٩٩ ، وحسنه الألباني في تعليقه على سنن الترمذي ص ٥٦٣ .

القول في الإيمان

قال رحمه الله :

وقُلْ إنَّما الإيمانُ قَوْلٌ ونيَّةٌ ☒ وفِعْلٌ عَلَى قَولِ النبيِّ مُصَرَّحُ
ويَنْقُصُ طَوْرًا بالمعَاصِي وَتَارةً ☒ بطَاعَتِهِ يَنْمِي وفي الوَزنِ يَرْجَحُ

ثم شرع الناظم يبين مذهب أهل السنة والجماعة في الإيمان .

والإيمان لغةً : التصديق [1]، وذهب شيخ الإسلام ابن تيميَّة إلى أن الإيمان في اللغة : هو الإقرار [2] .

وأما الإيمان في الشرع : فهو قولٌ باللسان ، واعتقاد بالجنان ، وعمل بالجوارح والأركان ،يزيد بالطاعة وينقص بالعصيان ، وهذا من الحدود الشرعية القليلة ، التي يكون التعريف الشرعي فيها أعم من التعريف اللغوي .

فمن أخل بواحد من هذه القيود الأربعة فقد ضَلَّ في باب الإيمان ،كالجهمية الذين قالوا : إن الإيمان هو معرفة الله فقط ، والمعتزلة الذين قالوا : هو التصديق المجرد ، وبعض المرجئة

---

[1] انظر : لسان العرب / حرف الألف / ١ / ١٦٤.

[2] انظر: الفتاوى ٧ / ٢٩١ .

والكرامية – نسبة إلى محمد بن كرام – الذين قالوا: هو قول اللسان فقط ، ومرجئة الفقهاء الذين قالوا : هو اعتقاد القلب ، وقول اللسان.

فكل هذه الأقوال باطلة ، والحق ما ذكره الناظم بقوله : (وقل إنما الإيمان : قول ونية وفعل) وتقدم ذكره ، وليس هذا قولا عاريا عن دليل ، ولكنه معتمد على نصوص ثابتة (على النبي ﷺ) ، (مصرح) أي: جاءت صريحة في ذلك .

ومن أوصاف الإيمان عن أهل السنة والجماعة ، أنه (ينقص طورا بالمعاصي) فإذا اقترف العبد معصية ذهبت بأصل إيمانه –إن كانت شركًا– ، أو بكماله – إن كانت دون ذلك – وفي المقابل فإن الإيمان (تارة بطاعة) الله (ينمي) فيزداد ،وهذه الطاعات (في الوزن ترجح) أي : تثقل بكفة الميزان .

دلَّ لذلك أدلةٌ متظافرة منها قوله تعالى : (ويزيد الله الذين اهتدوا هدًى) مريم ٧٦ ، وقوله تعالى : (وإذا تُليت عليهم آياته زادتهم إيمانا) الأنفال ٢ ، وقوله تعالى: (ويزداد الذين آمنوا إيمانا) المدثر ٣١ ، وغيرها كثير .

وأما أهل البدع فقد خالفوا الأدلة الصريحة الصحيحة في مسألة زيادة الإيمان ونقصانه ، فالمعتزلة والخوارج قالوا : إن الإيمان يزيد ، لكنه ينتفي بفعل الكبيرة ؛ لأنهم يخرجون صاح الكبيرة من الإسلام ، وأما المرجئة فقالوا : إن الإيمان يزيد ولا ينقص على ما تقدم من ذكر مذهبهم ، والحق الذي لا مرية فيه ، هو ما ذكره الناظم وهو مذهب أهل السنة والجماعة ، الموافق للأدلة من الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة .

والإيمان والإسلام إذا اجتمعا في جملة واحدة كان الإسلام للأعمال الظاهرة ، والإيمان للاعتقادات الباطنة ، وإذا افترقا دلَّ أحدهما على الآخر ، فيقال في مثل ذلك : إذا اجتمعا افترقا ، وإذا افترقا اجتمعا .

واعلم : أن لزيادة الإيمان أسبابا منها :

١. العلم الشرعي ؛ قال تعالى : (إنما يخشى الله من عباده العلماء) فاطر ٢٨ .

٢. تدبر القرآن ؛ قال تعالى : (إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم) الإسراء ٩ .

٣. معرفة أسماء الله الحسنى وصفاته العلى ، والعمل بمقتضاها .

٤. الاقتداء بالنبي ﷺ .

٥. النظر في سير السلف الصالحين ممن تقدموا .



القول الأخير وفيه الوصية باتباع الدليل

قال رحمه الله :

وَدَعْ عنكَ آراءَ الرِّجالِ وَقولَهُم ✖ فَقْولُ رَسُولِ اللهِ أَزكى وَأَشْرَحُ
وَلا تَكُ مِن قَوْمٍ تَلَهَّوْ بِدِينِهِم ✖ فَتَطْعَنَ في أَهَلِ الحَدِيثِ وتَقْدَحُ
إذا مَا اعتقدْتَ الدَّهْرَ يا صَاحِ هذِه ✖ فَأَنْتَ عَلى خَيْرٍ تَبِيتُ وتُصْبِحُ

ثم ختم الناظم منظومته بوصية عظيمة ، وهي أهمية الأخذ بالدليل ، واتباع النصوص الشرعية ، وتعظيم السنة ؛ لأن مصادر الأدلة هما الكتاب والسنة ، من أخذ بهما نجا ، ومن أعرض عنهما هلك ، فقال : (ودع عنك) أي : اترك (أراء الرجال وقولهم) إذا خالفت هذه الأقوالُ الوحيين من كتاب الله وسنة نبيه ﷺ ؛ لأن أقوال البشر يعتريها الخطأ ، وأما الوحيان فلا خطأ فيهما بأي وجه من الوجوه ؛ لأن كلام الله و (وقول رسول الله) ﷺ (أزكى) أي : أطهر وأنقى (وأشرح) فهما من أسباب انشراح الصدور ؛ قال تعالى : (ألا بذكر الله تطمئن القلوب) الرعد ٢٨ ، وروي من حديث ابن عباس رضي الله عنه أن النبي ﷺ خطب الناس في حجة الوداع فكان مما قال : " ... إني قد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبدا : كتابَ الله ، وسنةَ نبيه ... " [1] .

---

[1] أخرجه الحاكم في المستدرك / كتاب العلم / خطبته صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع / برقم ٣٢٤ ، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ١ / ١٢٤ برقم ٤٠ .

وبين الناظم خطر من أعرض عن النصوص الشرعية واستبدلها بأقوال الرجال ، فقال : (ولا تك) وتقدمت ، (من قوم تلهوا بدينهم) فتخبطوا في الدين ؛ بسبب أخذهم بأقوال الرجال ، وتركهم الأدلة ، فإن سلكت هذا الطريق فقد يصل بك الحال (فتطعن في أهل الحديث وتقدح) فيهم ؛ لأنهم أخذوا بالأثر ، وتركوا النظر ،ولم يقدموا العقول على أقوال الرسول ﷺ،فهذه منقبة لهم لا مسبة .

ثم ختم الناظم منظومته ببيان أن الخيرية ملازمة لمن لزم هذا الاعتقاد المبني على الدليل ؛ فقال : (إذا ما اعتقدت) أي : إذا اعتقدت وجزمت ، و (ما) زائدة ، فكان اعتقادك في حياتك كلها ، (يا صاح) وهي ترخيم لصاحبي ؛ بحذف الباء والياء منها (هذه) إشارة إلى عقيدته في هذه المنظومة ، فإن لزمت هذا الاعتقاد (فأنت على خير تبيت وتصبح) ، فالخير فيك صباحَ مساءَ ؛ لأنك اعتقدت الاعتقاد الصافي الصحيح ، وهو طريق جنات النعيم ، فاثبت عليه حتى تلقى الله تعالى به .

قال أبو بكر بن أبي داود : هذا قولي ، وقول أبي ، وقول أحمد بن حنبل ، وقول من أدركنا من أهل العلم ، ومن لم ندرك ممّن بلغنا عنه ، فمن قال غير هذا فقد كذب ..

تم ختم المؤلف قصيدته بهذا القول ، للتأكيد بعقيدته ، عقيدة أهل السنة والجماعة وهذا هو قول أئمة الحديث النبلاء ، والأعلام النجباء ، من أهل العلم الكرام ، الذين لهم في ساحة البذل والنشر والخير مرام ، كأبي داود وأحمد ، وغيرهم ممن حذى حذوهم المسدد ، فالعلماء هم مصابيح الدجى ، وأئمة الهدى ، فتمسكوا بهم ، وعليكم بغرزهم .

وأنا **بدر بن سويلم المقاطي** : هذا قولي وعقيدتي ، وعقيدة من درسنا عليهم من مشايخنا الفضلاء وعلمائنا النبلاء ، وعلى رأسهم شيخنا العلامة ابن باز رحمه الله تعالى ، وغيره ممن

تشرفت بالدراسة عليهم ، وأختم بهذه القصيدة [1] ، التي توصي بالأخذ عن العلماء الذين على منهج السلف :

عليك بأصحاب الحديث الأفاضل ۞ تجد عندهم كلّ الهدى والفضائل
أحن إليهم كلّما هبّت الصّبا ۞ وأدعوا إليهم في الضّحى والأصائل
لئن شحّت الأيّام في الجمع بيننا ۞ سخت بالتّوالي بيننا والرّسائل
وقد تلتقي الأرواح والبون نازح ۞ على الجمع للأشباح ذات الهياكل
فياليت شعري والأماني ضلة ۞ متى نلتقي بعد النّوى المتطاول
شيوخ حديث المصطفى ومعادن الـ ۞ تقى وبدور نورهم غير آفل
شفوا علل الأكباد منه فأصبحوا ۞ وقد لبسوا منه نفيس الغلائل
هم نقّحوا منه الصّحيح وبيّنوا ۞ معارفه في المتعات الحوافل
فهم في مبانيهم جبالٌ منيفة ۞ وهم في مغانيهم شموس المحافل
يذبّون عن دين النّبيّ محمد ۞ بألسنة مثل السّيوف الفواصل
دليلهم قول الرّسول وفعله ۞ وذلك يوم الفصل أقوى الدّلائل
ومدرسهم آي الكتاب وإنّه ۞ لأقمع برهان لكلّ مناضل
هما حجّة الإسلام لا ما يطيش من ۞ دماغ ألدّ في الخصام مجادل
ولولاهما كان ابن سينا منزّلاً ۞ من العلم في أعلى بروج المنازل
وكان ابن مسعود وأعلام عصره ۞ من الصّحب في مهوّى من الجهل نازل
فلا تقتدوا إلا بهم وتيمّموا ۞ لهم منهجاً كالقدح ليس بمائل

---

[1] – الروض الباسم ، في الذب عن أبي القاسم ﷺ ، لمحمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضي الحسني القاسمي ،أبو عبد الله ، المعروف بابن الوزير ، (ت ٨٤٠) ، ٢ / ٥٩٦ .

أ لم تر أنّ المصطفى يوم جاءه الـ ۞ ـوليد[1] بقول الأحوذيّ المجادل
تجنّب منهاج المرا وتلا له ۞ من السّجدة الآيات ذات الفواصل
ولم يجعل القرآن غير مصدّق ۞ إذا لم تقدمه دروس الأوائل
كذا فعل الطيّار يوم خطابه ۞ لأصحمة بين الخصوم المقاول
تلا لهم آي الكتاب فأيقنوا ۞ بها بشهادات الدّموع الهواطل
إلى ذاك صار الأذكياء من الورى ۞ وعادوا إليه بعد بُعد المراحل
أبو حامد وابن الخطيب وهكذا الـ ۞ إمام الجوينيّ الذي لم يماثل
كذا ابن عقيل وهو أبرع عاقل ۞ غدا وهو معقول كبعض العقائل
فلا تسبحوا في لجّة البحر وابعدوا ۞ عن الخوض فيه واكتفوا بالسّواحل
فإن لم يكن بدّ من الخوض فاجعلوا ۞ مواردكم مستعذبات المناهل
عليكم بقول المصطفى فهو عصمة ۞ وما عاقل عمّا يقول بعادل
سعدت بذبّي عن حماه وحبّه ۞ كما شقيت بالصّدّ عنه عواذلي

وهذا آخر البيان على هذه المنظومة النافعة ، والحمد لله رب العالمين .

بدر بن سويلم المقاطي – المزاحمية الغراء – ظهيرة الاثنين ، التاسع من ربيع الأول ، لعام ١٤٤٢هـ

۞۞۞۞۞

[1] – في هذا البيت إشارة إلى كلام الوليد بن المغيرة لرسول الله ﷺ حين عرض عليه المال والرياسة، ويترك دعوى النبوة، فلم يجب عليه رسول الله ﷺ إلا بتلاوة آية السجدة، وعلى هذا كان أصحابه الراشدين رضي الله عنهم.

www.alukah.net
شبكة الألوكة



شبكة الألوكة - قسم الكتب